المقدمة

الحمد لله القائل في محكم التنـزيل:

[1] - أخرجه أبو نعيم في الحلية 4/96 وابن عبد البر في جامع بيان العلم 1/184، وسنده ضعيف كما قال الحافظ العراقي، وقال الشيخ ناصر الألباني بعد ذكر سنده: موضوع. انظر ضعيف الجامع الصغير، الحديث رقم (3493) وسلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة، الحديث رقم (16)، وذكره شيخ الإسلام ابن تيمية على أنه أثر، انظر الفتاوى: 10/354 ومعناه صحيح.

عندما يكون الحكم لغير شريعة الله

إذا كان جمهور علماء الامة قد اتفقوا [كما رأينا فيما مضى] على عـدم الخروج على أئمة الجَوْر مع وجوب أمرهم بالمعروف ونـهيهم عن المنكر؛ فإن إجماعهم قد انعقد على أنه لا تصح ولاية الكافر على المسـلمين، وإذا طرأ عليه كفر أو تغيير للشـرع سـقطت ولايتـه، ووجـب علـى المسـلمين القيام عليه وخلعه، ومن الأدلة على ذلك:

1 - قوله تعالى: [illegible]

[illegible]

[illegible]

- [illegible]

- [illegible]

- [illegible][2]

[illegible]

[illegible]

---

[1] - حديث عبادة بن الصامت متفق عليه.

[2] - أنظر فتح الباري : 16/113 الحلبي، صحيح مسلم بشرح النووي: 12/229.

[1] - مسلم، كتاب الإمارة، باب خيار الأئمة وشرارهم.
[2] - البخاري، الأحكام، باب السمع والطاعة للإمام ما لم تكن معصية.
[3] - صحيح مسلم بشرح النووي: 12/229.

[1] - فتح الباري: 16/241.

[2] - تفسير المنار: 6/367.

[3] - إن جذور الانحراف والفساد سبقت هدم الخلافة الإسلامية، كما أن استبدال القوانين الأوربية بأحكام الشريعة الإسلامية بدأت منذ عهد الخليفة العثماني سليمان القانوني.

□

□ □

□

□ □ □ □ □ □

□

□

□

□ □ □

□ □ □ □ □ □ □

□ □ □

□

□ □ □

□

□

□

□

1 - تفسير المنار: 6/367، قاله في معرض تفسيره لقول الله تعالى:

□

□

□

مواقف العلماء

لقد كثر النفاق والتزلف للطواغيت في العقود الأربعة الماضية من قبل أنـاس يتسـربلون بسـربال العلـم والمعرفـة، ويتـدثرون بـدثار التقـوى والـورع:

- فمنهم من أباح المعاملات الربوية، وشن حملات ظالمة ضـد البنـوك الإسـلامية.

- ومنهم من زعم أن أحكام الشريعة الإسلامية مطبقة فـي مصـر، لأن القانون المدني مستمد من أحكام الشريعة، وهو أول من يعلم بأنه يكذب في هذا الدعاء.

- ومنهم من زعم أن أهل الجنة يعيشون حالة من الفرح ليس لها مثيل من قبل لأنـهم يسـتعدون لاسـتقبال أحـد أبنـاء الطغـاة الـذي أهلكـه اللـه سبحانه وتعالى، والولد سر أبيه.

- ومنهم من سمعته أذناي، كما سمعه مثلي مئات المصلين الذين كانوا يصغون إليه وهو يخطب الجمعة، وينسب إلى رسول الله صلى الله عليـه وسلم - في حديث حبكه - قوله:

"... ثم يأتي جمال الدين فينتصر كما انتصر صلاح الدين" يريد من وراء هذا الكذب على رسول الله صـلى اللـه عليـه وسـلم الـتزلف إلـى نظـام جمال عبد الناصر إبان حكمه وطغيانه.

- ومنهم من وضع شروحاً وحواشي لخطبة من خطب ولي أمره مع أن مثل هذه الخطب تعتبر م ادة لنـوادر وطرائـف يتناقلهـا النـاس ويشـبعون ضحكاً منها وسخرية بـها.

- وأكثر هؤلاء أفتوا بإباحة دماء العلماء والـدعاة الـذين أقـدم الجلادون على سفك دمائهم من غير حق.

وقصارى القول: فإن هـؤلاء المحسـوبين علـى زمـرة العلمـاء يـؤثرون الـدنيا علـى الآخـرة، ويـأكلون بألسـنتهم، ويـأمرون النـاس بـالمعروف

وينسون أنفسهم، ومن كان منهم عالماً فإنه ممن لـم ينتفعـوا بعلمهـم... وهذه الصفات تدفعهم إلى الإفتاء بكل ما يطلبه الظلمة منهم.

هناك صنف آخـر مـن العلمـاء اشـتهروا بيـن النـاس بـالعلم والصلاح والورع، وتجنبوا في حياتـهم الخاصة والعامة مواطن الشـبهات، مثـل التسـكع علـى أعتـاب السـلاطين، وتزييـن قبائحهم، والنفاق لهم، وقـد أكسـبتهم هـذه الصـفات شـعبية واسعة، ومكانة مرموقة داخل بلدانـهم وخارجها، ولهذا يتطلع النـاس إليهـم فـي الملمـات ينتظـرون مـاذا سـيقولون، وإذا حددوا مواقفهم تبعهم في ذلك خلق كثير.

السـلطان بخبثـه ودهـائه، ثـم بمكـر مخـابراته وكبـار مستشـاريه مـن شياطين العلمانية، يسعى إلى هؤلاء العلماء، ويطلب منهم بإلحـاح قبـول الوظائف الدينية الكبيرة، ويعدهم بالتعاون معهم من أجل إجراء إصلاحات واسعة في سائر مرافق الدولة.

وبعد وقوع هؤلاء العلماء في شراكه، يرتب كيفية عملهم، ويضعهم فـي موضع مـن يتـأثر ولا يـؤثر، بحيـث لـو أرادوا الخـروج علـى قواعـد اللعبـة المرسومة لهم لما وجدوا إلى ذلـك سـبيلاً، لأن الـذي اختـارهم هـو الـذي اختار مساعديهم وحتى صغار الموظفين في مكاتبهم، وماذا يفعـل المـرء إذا أراد أن يسـير فـي اتجـاه لا يسـاعده علـى السـير فيـه أقـرب النـاس إليه؟!.

يؤثِّر مرور الزمن على هؤلاء الشيوخ، فيألفون المنكرات اليوميـة الـتي يرونـها، والتي كـانوا مـن قبـل يقيمـون النكيـر علـى فاعليهـا، وتتضـاعف عندهم الرغبة فـي التمـاس الأعـذار، ولـو أراد بـاحث جمـع فتـاويهم بيـن القـديم والحـديث لوجـد تناقضـات مخجلـة: فالمسـتحيل أصـبح ممكنـاً، والمقطوع بأمره صـار يحتمـل عـدة وجـوه، والحكـم بغيـر مـا أنـزل اللـه

أخرجـوه مـن أقسـام التوحيـد، ومـن خـالفهم أضـافوا اسـمه إلـى قـوائم الخوارج والمبتدعة والمتطرفين الإرهابيين.

وإن مما لا ينقضي منـه العجـب أن هـؤلاء الشـيوخ يعرفـون حقيقـة مـا يجري مـن انحرافـات خطيـرة، وأعمـال مكفـرة لأنــهم علـى صـلة قويـة بالنظام وبعامة أهـل الخيـر فـي مختلـف مرافـق الدولـة، وينقلـون إليهـم الأمور بالوثائق والأرقام، وتمر بـهم أحياناً حالات إحباط فيقولـون لخاصـة جلسـائهم كلامـاً شـبيهاً بـالكلام الـذي يقـوله مـن يرمونــهم بـالتطرف والابتداع، غير أن ولاة الأمور يسارعون إلى استرضاء الشيوخ، وامتصاص المشكلة الـتي أغضـبتهم، فيعـودون بعـد هـذا الاسترضـاء إلـى سيرتــهم السابقة في الثناء على ولاة أمورهم، وفي التماس الأعذار لهم، ولما كـان أثر هذا الصنف من الشيوخ لا يقارن بأثر الصنف الأول الذين مـردوا علـى النفاق، وبالغوا في تقديس السلاطين والتقيد بتعليماتـهم وأوامرهـم، لـذا فقد رأينا مناقشة أهم الشبهات الـتي يثيرونــها لعـل فـي ذلـك خيـراً لنـا ولهم.

الشبهة الأولى

كلما طلب الناس من هؤلاء إنكار منكرات السلاطين وبطانتهم قالوا: تجنبوا طرح هذه المسائل لأنها تثير الفتنة. مع أن هذه المنكرات قد تصل إلى حد الكفر البواح.. فما هو المفهوم الشرعي لمصطلح الفتنة، وما هو موقف أئمة السلف من هذا المفهوم؟!، هذا ما سنبينه فيما يلي:

قال تعالى: [illegible]

[illegible]

[illegible]

- [illegible]

[illegible]

---

[1] - فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية: 28/166.

[2] - إذا كان معلوماً من الدين بالضرورة.

[1] - رواه البخاري في الجامع الصحيح، كتاب الفتن 8/95.

[1] - تفسير الطبري، دار المعارف بمصر: 3/252، وخرج أحمد شاكر الحديث فقال: هذا حديث صحيح رواه أحمد في المسند من حديث أبي هريرة، وخرجناه في شرح المسند، وفي صحيح ابن حبان بتحقيقنا.

[illegible]

[illegible] ".

[illegible]

[illegible]

[illegible]!!.

[illegible]

[illegible]:

1 - أبو حنيفة النعمان: رفض الأعطيات التي كان يعرضها عليه أبو جعفر المنصور، وقال لرسول الخليفة: "مـا وصـلني أميـر المـؤمنين فـي ماله بشيء فرددته، ولو وصلني بذلك لقبلته إنما أوصلني أميـر المـؤمنين من بيت مال المسلمين ولا حق لي في بيت مالهم، إني لست ممن يقاتل من ورائهم، فآخذ ما يأخذه المقاتل، ولست من ولدانـهم فآخـذ مـا يأخـذه الولدان، ولست من فقرائهم فآخذ ما يأخذه الفقراء".

ورفض رئاسة القضاء، وعُذب من أجل ذلك، فكان رده على المنصــور: "... إن هذا دعاني للقضاء فأعلمته أني لا أصلح، ولا يصلح للقضاء إلا رجل يكون له نفس يحكم بـها عليك، وعلى ولدك وقوادك، وليس تلـك النفـس لي، إنك لتدعوني فما ترجع نفسي حتى أفارقـك"[2].

2 - مالك بن أنس: بدأت محنة الإمام مالك في درس مـن دروسـه التي كان يقررها في المسجد النبوي بالمدينة، وذلك عنـدما شـرح حـديث

---

[2] - تفسير المنار: 2/51.

[2] - انظر تاريخ بغداد: 13/328، والمناقب للمكي: 1/215.

رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ليس على مستكره طلاق" ووجد المناوئون لحكم أبي جعفر المنصور في هذا الحديث مستنداً قوياً على التحلل من بيعته لأنها جاءت عن طريق الإكراه، إذ قاسوا البيعة على الطلاق، فقالوا: "وليس على مستكره بيعة".

ووجد المنصور وولاته خطراً عليهم في نشر هذا الحديث، فحاولوا منع الإمام مالك من التحدث به، فما استجاب لهم رغم تعرضه للضرب والإهانة وأبى كتم العلم[1] .

3 - سفيان الثوري: عن سفيان الثوري قال: دخلت على أبي جعفر بمنى، فقال لي: ارفع حاجتك. فقلت له: اتق الله! فإنك قد ملأت الأرض جوراً وظلماً، قال: فطأطأ رأسه، ثم رفع وقال: ارفع لنا حاجتك. فقلت: إنما أنزلت هذه المنزلة بسيوف المهاجرين والأنصار، وأبناؤهم يموتون جوعاً، فاتق الله وأوصل إليهم حقوقهم. قال: فطأطأ رأسه ثم رفع وقال: ارفع إلينا حاجتك. قلت: حج عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال لخازنه: كم أنفقت؟ قال: بضعة عشر درهماً، وأرى هاهنا أموراً لا تطيق الجمال حملها.

وكانت له مواقف قوية مع المهدي الذي عهد إليه بقضاء الكوفة، فأخذ العهد ومزقه بعد أن غادر ديوان الخلافة، وغاب عن أنظار الناس، فطلب في كل بلد، ومات عام 161 هـ مستخفياً بالبصرة.

وعن يحيى بن يمان قال: سمعت سفيان يقول: العالم طبيب الدين، والدرهم داء الدين، فإذا اجتر الطبيب الداء إليه متى يداوي غيره. هذا هو سفيان الثوري الذي قال عنه شعبة: أصحاب المذاهب الثلاثة: ابن عباس في زمانه، والشعبي في زمانه، والثوري في زمانه، وقال عنه الإمام

---

[1] - البداية والنهاية: 10/174 و 10/84، وكتاب الإسلام بين العلماء والحكام للشيخ عبد العزيز البدري، ص: 155.

أحمد: لا يتقدمه في قلبي أحد. ثم قال: تدري من الإمام؟ الإمـام سـفيان الثـوري[1].

4 - أحمد بن حنبل: أصدر الخليفة المأمون أمره لواليه على بغداد - إسحاق بن إبراهيم - بضرب عنق كل من يخـالف اعتقـاده بخلـق القـرآن الكريم، وأخذ العلماء بالرخص إلا أربعة منهم: أحمد بن حنبل ومحمـد بـن نوح وعبيد الله القواريري وسجادة، فـأدخلوا السـجن مصـفدين بـالأغلال، وفي اليوم التالي جيء بـ هم إلـى حـ اكم بغـداد لإع ادة السـؤال عليهـم... فأجاب سجادة بما ينجيه ولحـق القـواريري بصـاحبه، فـأطلق سـراحهما، وبقي ابن حنبل وابن نوح.

أما ابن نوح فمات سجيناً في [عانة] - وهي بلدة عراقية -، وأما الإمـام أحمد فنقلوه من سجن لآخر حتى انتهى المطاف به في سـجن الياسـرية ببغداد، ثم نقلوه إلى حبس العامة في درب الموصلية، وفي هـذا السـجن طرح ثمانية وعشرين شهراً، وجلد أكثر م ن ألـف سـوط، وسـالت دمـاؤه وأشرف على الموت دون أن ينتزع منه الطغاة أي اعتراف ببدعتهم، ومن أقواله المأثورة:

"ياعم [عمه إسحاق بن حنبل] إذا أجاب العـالم تقيـة والجاهـل يجهـل، متى يتبين الحق؟". ولما دخل عليه يحيى بن معين يعوده في مرضـه، لـم يرد عليه السلام، فمازال ابن معين يعتذر بقوله الله تعالى [illegible].

---

[1] - البداية والنهاية: 10/134، وتذكرة الحفاظ: 1/204، وما رواه الأساطين فـي عدم المجيء إلى السلاطين، للسيوطي، دار ابن حزم، ص: 83.

[illegible]

[illegible]

[illegible]

5 - البخاري: طلب خالد بن أحمد الذهلي - أمير خراسان - من الإمام البخاري أن يحضر إليه من بلده بخارى ليسمع أولاده منه [أي ليعلمهم وهذا ما يتمناه ويسعى إليه كثير من العلماء في هذا العصر وغيره]، فأبى أن يذهب، وقال لرسول الأمير: "في بيتي يؤتى العلم"، وكان ذلك سبباً في حقد الأمير عليه، وفي نفيه من بلده بخارى إلى بلدة [خرتنك] على بعد فرسخين من سمرقند. وعندما توفاه الله في هذا المنفى عم بغداد الاستياء، وطالبوا بالثأر للإمام البخاري من أمير خراسان، وكان لهم ما أرادوا فقد انتقم الله من هذا الظالم، ومات في سجن بغداد[2].

6 - النووي: يقول علاء الدين بن العطار تلميذ الإمام النووي:

"وكان – النووي – مواجهاً للملوك والجبابرة، ولا تأخذه في الله لومة لائم، وكان إذا عجز عن المواجهة؛ كتب الرسائل، وتوصل إلى إبلاغها، فمما كتبه وأرسلني في السعي فيه وهو يتضمن العدل في الرعية، وإزالة

---

[1] - البداية والنهاية 12/168، وطبقات الشافعية 2/37، وسير أعلام النبلاء 11/177، ومجموعة التوحيد ص: 343، والإسلام بين العلماء والحكام للبدري.

[2] - وفيات الأعيان: 3/329، والبداية والنهاية: 11/24.

المكوس عنهم[3] ... فكان جواب السلطان بالإنكار والتوبيخ والتهديد، فكتب رحمه الله جواباً لذلك الجواب، ومما جاء فيه:

"... وقد أوجب الله إيضاح الأحكام عند الحاجة إليها، فقال تعالى: [illegible] ".

[illegible]:

"[illegible] - [illegible]...

[illegible]".

[illegible]:

"[illegible]!".

"[illegible]".

[illegible]:

---

[3] - كتب معه في ذلك: شيخ الإسلام عبد الرحمن بن أبي عمر شيخ الحنابلة، والشيخ العلامة عبد السلام بن عمر الزواوي شيخ المالكية، والشيخ المفتي محمد بن عبد الكريم الحرستاني خطيب دمشق وابن خطيبها، وجماعة آخرون.

[1] يضاف قول النووي هذا إلى الأدلة السابقة التي ذكرناها قبل صفحات قليلة عن وجوب إيضاح الأحكام عند الحاجة إليها.

"[illegible]" .[1]

[illegible] – [illegible] – [illegible]!.

7 - **العز بن عبد السلام:** استعان الملك إسماعيل بن العادل بالصليبيين ضد أخيه نجم الدين سلطان مصر، وأعطاهم مقابل ذلك صيدا [حسب رواية السبكي] وقلعة صفد وغيرها [حسب رواية المقريزي]، ثم سمح للصليبيين بدخول دمشق بقصد شراء السلاح وسائر آلات الحرب.

وقف سلطان العلماء العز بن عبد السلام بوجه هذه الخيانة [2] وأفتى بتحريم بيع السلاح، ثم صعد منبر الجامع الأموي حيث كان خطيبه الرسمي وأعلن فتواه المشهورة بتحريم بيع السلاح للصليبيين ثم قطع من الخطبة الدعاء للسلطان إسماعيل، وهذا يعني نزع البيعة له ثم راح يدعو الدعاء التالي والناس يضجون بالتأمين على دعائه: "اللهم أبرم لهذه الأمة إبرام رشد يُعزُ فيه أولياءك، وتذل فيه أعداءك، ويعمل فيه بطاعتك، وينهى فيه عن معصيتك".

كان السلطان الصالح إسماعيل خارج دمشق، وعندما جاءه الخبر أمر بعزل الشيخ ابن عبد السلام من خطبة الجمعة ومن سائر وظائفه،

---

[1] - تحفة الطالبين في ترجمة الإمام محي الدين، لتلميذه علاء الدين علي بن إبراهيم بن العطار المتوفى عام 724، دار الصميعي، الرياض.

[2] - أكثر من هذا يحدث اليوم في كل بلد إسلامي، ولا نجد عالماً واحداً من كبار علماء السلاطين يقفون الموقف الذي وقفه العز بن عبد السلام فإنا لله وإنا إليه راجعون.

واعتقاله مع صاحبه الشيخ ابن الحاجب المالكي لاشـتراكه معـه فـي هـذا الإنكار، ثم لما قدم دمشق أمر بالإفراج عنهمـا، وفـرض الإقامـة الجبريـة على العز بن عبد السلام.

إذا شئنا الحديث عن وظائف العز بن عبد السلام التي عزل عنهـا بلغـة هذا العصر، فهي: وزارة المعارف، ووزارة الأوقاف والشـؤون الإسـلامية، ووزارة الإعلام، أو معظم أقسام هذه الوزارات، وهذا مما لا يطمـع بـه أي عالم من علماء السلاطين اليوم، ومع ذلك فهو لم يتردد في التخلي عنهـا إرضاء لله سبحانه وتعالى. يقول تلميذه القرافي أن بعـض أربـاب الدولـة كتب إليه يحضه علـى الاجتمـاع بملـك وقتهـم، والـتردد إليـه ليكـون ذلـك مقيماً لجاهه وكابتاً لعدوه، فقال: "قرأت العلـم لأكـون سـفيراً بيـن اللـه وبين خلقه وأتردد إلى أبواب هؤلاء؟!".

ولمـا كـان التطـبيق العملـي يـبين معـادن الرجـال، ويكشـف مـا تكنـه الصدور، فإن رد العز بن السلام على بعض خواص السلطان الذين جاؤوه يعرضون عليه الاعتذار مقابل العودة إلى وظائفه المغرية خير دليل علـى أنه يتبع القول العمل.

قالوا له: بينك وبين أن تعـود إلـى مناصـبك ومـا كنـت عليـه أن تنكسـر للسلطان وتقبل يده لا غير.

قال: والله ما أرضاه أن يقبل يدي فضلاً عن أن أقبل يده. يا قـوم أنتـم في واد وأنا في واد، الحمد لله الذي عافاني مما ابتلاكم به.

قـالوا: يـا شـيخ قـد رسـم لنـا أن توافـق علـى مـا يطلـب منـك، وإلا اعتقلنـاك.

قال: افعلوا ما بدا لكـم، ثـم أخـذوه معتقلاً فـي خيمـة مجـاورة لخيمـة السـلطان.

وقعت الحرب بين الأخوين، وأسفرت عن انتصار السلطان نجم الـدين أيوب على السلطان إسماعيل وحلفائه الصليبيين. ونجا الشـيخ ابـن عبـد السلام من الأسر، ثم دخل مصـر معـززاً مكرمـاً، وتـولى منصـب قاضـي القضاة فيها... ولكن: هل أخلد الشيخ إلى الراحة، وشغله منصـبه الرفيـع عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؟، وعنده مسوغات كثيرة لو شـاء اتخاذ مثل هذا القرار.

يقول السبكي: لم يثبت عنـد الشـيخ أن أمـراء الدولـة الأتـراك أحـرار، ولهذا فإن حكم الرق مستصحب عليهم لبيت مال المسلمين، وقام الشيخ بإبلاغهم ذلك.

استشاط نائب السلطنة غضباً، وركب بنفسه فـي جمـاعته، وجـاء إلـى بيت الشيخ، ثم طرق بابه وسيفه مسلول بيده، فخرج ولد الشـيخ، وهـاله ما رأى، فعاد إلى أبيه وشرح له الحال، فما اكترث الشيخ لـذلك ولا تغيـر، وقال: يا ولدي أبوك أقل من أن يقتل في سـبيل اللـه، ثـم خـرج، فسـقط السيف من يد نـائب السـلطنة عنـدما وقـع بصـر الشـيخ عليـه، وأرعـدت مفاصله، فبكى النائب، وسأل الشيخ أن يدعو له، ثم قال: يا سـيدي خيـر، أي شي تعمل؟. قال: أنادي عليكم وأبيعكم، قـال: ففيـمَ تصـرف ثمننـا؟. قال: في مصالح المسلمين، قال: من يقبضه؟. قال: أنـا.

وأخيراً فقد تم للشيخ ما أراد حيـث نـادى علـى الأمـراء واحـداً واحـداً، وغالى في ثمنهم، وقبضه وصرفه فـي وجـوه الخيـر، رحـم اللـه سـلطان العلماء، وجزاه عن الإسلام والمسلمين كل خير[1] ◆◆◆

[1] - اختصرت الروايات التي تحدثت عن بيـع الشـيخ لمماليـك مصـر، والمصـادر الـتي اعتمدت عليها هي: ما رواه الأساطين في عدم المجيء إلـى السـلاطين للسـيوطي، وطبقات الشافعية للسبكي: 5/84، والسلوك للمقريزي: 1/303، وفوات الوفيـات: 1/596، والإسلام بين العلماء والحكام.

شيخ الإسلام ابن تيمية

توسعت قليلاً في عرض أهم مواقف شيخ الإسلام ابن تيميــة للســببين التاليين:

الأول: نحن وكثير من المخالفين الـذين يتمسـكون بالمنهـج السـلفي متفقون على أنه لم يبرز في القرون التي تلت عصر ابن تيمية إمام مثله، ولم نقرأ لمخالفينـا هـؤلاء رداً علميـاً ينقـض هـذه المواقـف، وكـل الـذي نعرفـه إعجابــهم بــها وتقـديرهم لهـا، والاستشـهاد بــها فيمـا يكتبـون ويدرّسون.

الثاني: هناك تشابه بين عصرنا وعصر شيخ الإسـلام، ففـي العصـرين تعرضت بلدان العالم الإسلامي لهجمات صليبية ووثنية وباطنية، وأسفرت هذه الهجمات عن احتلال بعض بلداننا.

1 - موقفه من قازان: أسلم قازان، وتسمى بمحمود، وكان يشهد الجمعـة، وأسـلم معـه خلـق كـثير مـن التتـار، وكـان فـي جيشـه وعـاظ ومصلحون، وكان للصـالحين مـن المسـلمين عنـدهم قـدر. قـال صـاحب خطط الشام: "... قال صاحب التتر: إنه حارب حكام مصر والشام لأنـهم خارجون عـن طريـق الـدين غيـر متمسـكين بأحكـام الإسـلام... هـذا هـو قازان[1] الذي أصدر بحقه وحق جيشه فتواه المشهورة، أما عـن لقـائه مـع قازان وماذا قال له؟، يقول الشيخ عمر ابن أبـي بكـر البالسـي وهـو أحـد أعضاء الوفد:

"قال شيخ الإسلام للترجمان قل لقازان: أنت تزعم أنك مسـلم ومعـك مؤذنون وقاضي وإمام وشيخ علـى مـا بلغنـا فغزوتنـا وبلغـت بلادنـا علـى

[1] – قازان بـهذه الصفات التي توفرت فيه أحسن ديناً مـن أكـثر الحكـام المعاصـرين، وبشـكل أخـص الـذين منعـوا الحجـاب الشـرعي فـي المعاهـد والجامعـات وسـائر مؤسسات الدولة، أو الذين يمنعون بعض المظاهر الشرعية، أو الذين يضطهدون كـل من يطالب بتحكيم شرع الله، وغير ذلك كثير وكثير جداً.

ماذا؟ وأبوك وجدك هلاكو كانا كافرين وما غزوا بلاد الإسـلام، بـل عاهـدوا قومنا، وأنت عاهدت فغدرت وقلت فما وفيت.

قال - أي البالسي - : وقرب إلى الجماعـة طعامـاً فـأكلوا منـه إلا ابـن تيمية، فقيل له: ألا تأكل؟ قال: كيف آكل من طعامكم وكلـه ممـا نــهبتم من أغنام الناس وطبختموه بما قطعتم مـن أشـجار النـاس، قـال: ثـم إن قازان طلب منه الدعاء، فقال في دعائه: اللهم إن كان هذا عبدك محمود إنما يقاتل لتكون كلمتك هي العليا وليكون الدين كلـه للـه فانصـره وأيـده وملكه البلاد والعباد، وإن كان إنما قام رياءً وسمعة وطلباً للـدنيا ولتكـون كلمته هي العليا وليذل الإسلام وأهله فاخذله وزلزله ودمره واقطع دابره.

قال البالسي: وقازان يؤمن على دعائه، ويرفع يديه. قال:

فجعلنا نجمع ثيابنا خوفاً من أن تتلوث بدمه إذا أمر بقتله، قال:

فلما خرجنا من عنده قال له قاضـي القضـاة نجـم الـدين بـن صصـري وغيره:

كدت أن تـهلكنا وتـهلك نفسك، والله لا نصحبك من هنا، فقال:

وأنا والله لا أصحبكم، قال: فانطلقنا عصبة وتأخر هو في خاصـة نفسـه ومعه جماعة من أصحابه، فتسامعت به الخـواقين والأمـراء مـن أصـحاب قازان فأتوه يتبركون بدعائه، وهو سائر إلى دمشق، وينظرون إليه، قــال: والله ما وصل دمشق إلا في نحو ثلثمائة فارس في ركابه، وكنت أنـا مـن جملة من كان معه، وأما أولئك الذين أبوا أن يصحبوه فخرج عليهم جماعة من التتر فشلحوهم عن آخرهم[1] .

2- جهاده: كان رحمه اللـه عالمـاً مجاهـداً شـجاعاً لا يخشـى المـوت، يقول الإمام محمد ابن عبد الهادي عن قتال الشيخ في معركة "شَــقْحب" المشهورة:

---

[1] - البداية والنهاية: 14/89، كما روى هذا الخـبر الشـيخ كمـال الـدين بـن أنجـا فـي "الكواكب الدرية"، وكان ممن صحب شيخ الإسلام في لقائه مع قازان، وقال ابن كثير بعد أن ساق رواية البالسي: "وقد سمعت هذه الحكاية من جماعة غيره".

"وبقي الشيخ رضي الله عنه هو وأخـوه وأصـحابه ومـن معـه مـن الغـزاة قائماً بظهوره وجهاده وَلأمَّةِ حربه، يوص الناس بالثبات ويعـدهم بالنصـر، ويبشرهم بالغنيمة، والفوز بإحـدى الحسـنيين إلـى أن صـدق اللـه وعـده، وأعز جنده، وهزم التتار وحده، ونصر المؤمنين...

"ودخـل جيـش الإسـلام المنصـور إلـى دمشـق المحروسـة والشـيخ فـي أصحابه شاكياً في سلاحه، داخلاً معهم، عالية كلمته، قائمة حجته، ظاهرة ولايته، مقبولة شفاعته... وهو مع ذلك يقول للمداحين له: أنا رجل مِلَّة، لا رجل دولة.

"ولقد أخبرني حاجب من الحجاب الشاميين [لا يـزال الكلام لابـن عبـد الهادي]، أميـر مـن أمرائهـم، ذو ديـن مـتين، وصـدق لهجـة معروفـة فـي الدولة، قال: قال لي الشيخ يوم اللقاء، ونحن بمـرج الصُّـفَّر، وقـد تـراءى الجمعان:

يا فلان، أوقفني موقف الموت.

قال: فسقته إلى مقابلة العدو، وهم منحدرون كالسيل تلوح أسـلحتهم من تحت الغبار المنعقد عليهم. ثم قلت له: يا سيدي، هذا موقف المـوت، وهذا العدو، قد أقبل تحت هذه الغَبَرةِ المنعقدة، فدونك وما تريد.

قال: فرفع طرفه إلى السماء، وأشخص بصره، وحـرَّك شـفتيه طـويلاً، ثم انبعث وأقدم على القتال. وأما أنا فخيل إلى أنه دعا عليهم وأن دعـاءه استجيب منه في تلك الساعة.

قال: ثم حال القتال بيننا والالتحـام، ومـا عـدت رأيتـه، حـتى فتـح اللـه ونصر، وانحاز التتار إلـى جبـل صـغير، عصـموا نفوسـهم بـه مـن سـيوف المسلمين تلك الساعة وكان آخر النهار.

قال: وإذا أنا بالشـيخ وأخيـه يصـيحان بـأعلى صـوتيهما، تحريضـاً علـى القتال، وتخويفاً للناس من الفرار.

فقلت: يا سيدي، لك البشارة بالنصر. فإنه قد فتح اللـه ونصـر، وهـاهم التتار محصورون بـهذا السفح. وفي غد إن شاء الله تعالى، يؤخـذون عـن آخرهم.

قال: فحمد الله تعالى، وأثنى عليـه بمـا هـو أهلـه، ودعـا لـي فـي ذلـك الموطن دعاء وجدت بركته في ذلك الوقت وبعده.

بعد هذا الانتصار الفاصل كان لابـد للمسـلمين المجاهـدين مـن تـأديب: النصـارى، والنصـيريين، والرافضـة، والاسـماعيليين الـذين غـدروا بالمسلمين، وقدّموا جميع أنواع الدعم للغزاة، كمـا تعـاونوا مـن قبـل مـع جحافل الغزاة الصليبيين، وسوف تبقى الجبهة الداخليـة ضـعيفة ومفككـة إذا تـرك الحبـل علـى غـاربيه لهـؤلاء الخونـة العملاء. لا سـيما وأن شـيخ الإسلام ابن تيمية - وهو الخبير بأساليب البـاطنيين - يعلـم حـق العلـم أن الرافضي الخبيث ابن العلقمي - وزير المستعصـم بـالله المستنصـر آخـر الخلفاء العباسيين - استغل ثقة الخليفة بـه، فقـام بـدور لا مثيـل لـه فـي تاريخنا الإسلامي: فهو من جهة كان يراسل "هولاكو" الـوثني قائـد جيـش التتار بعد احتلاله لإيران ويحرّضه على احتلال بغداد، ومن جهة أخرى فقـد أشار على المستعصم المثول بين يدي هولاكو عندما اقتربت جيوشه مـن عاصمة الإسلام، ومن جهة ثالثة فقـد أقنـع القائـد التـتري بقتـل الخليفـة، ففعل وقتل معه سبعمائة راكب من القضاة والفقهاء وسائر أعيان الدولة وأركانـها عندما مثلوا بيـن يـديه. ثـم دخـل طاغيـة التتـار بغـداد يتقـدمهم الرافضي ابن العلقمـي. وزميلـه الرافضـي نصـير الـدين الطوسـي الـذي اتخذه هولاكو ليكون في خدمته كالوزير المشير... وفي بغداد قتـل التتـار كل من قدروا عليه: من الرجـال والنسـاء والولـدان والمشـايخ والكهـول والشبان، ودخل كثير من الناس في الآبار، وقنـى الوسـخ، وكمنـوا كـذلك أيامـاً لا يظهـرون، وكـان الجماعـة مـن النـاس يجتمعـون إلـى الخانـات ويغلقون عليهم الأبواب، فيفتحها التتار إما بالكسر وإما بالنار، ثم يـدخلون

عليهم فيهربون منهم إلى أعالي الأمكنة فيقتلونـهم بالأسطحة حتى يجري الميازيب من الدماء بالأزقة[1] .

وقعت هذه المذبحة عام 656 هـ، ولهذا فقد قـدم والـد شـيخ الإسـلام إلى دمشق ومعه ولداه عام 667 هـ ... فكيف ينتظر من عـالم مثـل ابـن تيمية أن لا يستفيد من هذا الدرس المرير؟!.

وهاهنا يبرز أم ام البـاحث الـذي يسـتعرض النصـوص التاريخيـة سـؤال يدعو إلى الحيرة والدهشة:

هل شيخ الإسلام ابن تيمية سلطان حاكم في بلاد الشـام، أم هـو عـالم اعتزل الوظائف ولم يتقلد أي منصب طوال سني عمره؟!.

ينقل ابن عبد الهادي عن الأمير الحاجب قوله:

"ثم لم يزل الشـيخ بعـد ذلـك علـى زيـادة فـي الحـال والقـال والجـاه، والتحقيق في العلم، حتى حرَّك الله عزمات نفوس ولاة الأمر لقتال أهــل جبل كسروان. وهم الـذين بغـوا وخرجـوا علـى الإمـام، وأخـافوا السُّـبلُ وعارضوا المارِّين بـهم من الجيش بكل سواء".

"فقام الشيخ في ذلك أتم قيام، وكتب إلى أطـراف الشـام فـي الحـثِّ على قتال المذكورين، وأنـها غزاة في سبيل الله".

"ثم تجهز هو بمن معه لغزوهم بالجبل، صحبه ولي الأمر نائب المملكــة المعظمة، أعز الله نصره، والجيـوش الشـآمية، المنصـورة، ومـا زال مـع ولي الأمر في حصارهم وقتالهم، حتى فتح الله الجبل، وأجلى أهله. وكـان من أصعب الجبال، وأشقها ساحة. وكانت الملوك المتقدمة لا تقدم علــى حصـاره، مـع علمهـا بمـا عليـه أهلـه مـن البغـي والخـروج علـى الإمـام والعصيان، وليس إلا لصعوبة المسلك، ومشقة النـزول عليهم".

---

[1] - البداية والنهاية، أحداث سنة 656 هـ: 13/200 مع الاختصار والتصرف اليسير.

"وكان فتحه أحد المكرمات والكرامات المعدودة للشيخ، لسببين على ما يقوله الناس:

أحدهما: لكون أهل هذا الجبل بغاة رافضة سبَّابةً تعيَّن قتالهم.

والثاني: لأن جبل الصالحية لما استولت الرافضة عليه - في حال استيلاء الطاغية قازان - أشار بعض كبرائهم بنهب الجبل، وسبي أهله وقتلهم، وتحريق مساكنهم، انتقاماً منهم لكونهم سنِّيَّة، وسماهم ذلك المشير: نواصب، فكان ما كان من أمر جبل الصالحية بذلك القول، وتلك الإشارة".

"قالوا: فكوفئ الرافضة بمثل ذلك، بإشارة كبير من كبراء أهل السنة وزناً بوزنٍ، جزاءً على يد ولي الأمر، وجيوش الإسلام.

والمشير المذكور: هو الشيخ[1] المشار إليه".

"ولما فتح الجبل، وصار الجيش بعد الفتح إلى دمشق المحروسة عكف خاص الناس وعامهم على الشيخ بالزيارة والتسليم عليه، والتهنئة بسلامته، والمسألة له منهم عن كيفية الحصار للجبل، وصورة قتال أهله، وعما وقع بينهم وبين الجيوش من المراسلات، وغيرها، فحكى الشيخ ذلك".

"وكان توجه الشيخ تقي الدين رضي الله عنه إلى الكسروانيين في مستهل ذي الحجة من سنة أربع وسبعمائة وصحبه الأمير قراقوش، وتوجه نائب السلطنة، الأمير جمال الدين الأفرم، بمن تأخر من عسكر دمشق إليهم، لغزوهم واستئصالهم في ثاني شهر المحرم من سنة خمس وسبعمائة، وكان قد توجه قبله العسكر، طائفة بعد طائفة في ذي الحجة".

"وفي يوم الخميس سابع عشر وصل النائب والعسكري معه إلى دمشق، بعد أن نصرهم الله تعالى على حزب الضلال من الروافض

---

[1] - أي الرافضي نصير الدين الطوسي.

والنصيرية وأصحاب العقائد الفاسدة، وأبادهم الله من تلك الأرض، والحمد لله رب العالمين"اهـ[1].

3- أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر: يتحدث ابن كثير عن هزيمة المسلمين أمام قازان، وجيشه في سنة تسع وتسعين وستمائة فيقول:

"ولى السلطان هارباً فإنا لله وإنا إليه راجعون، وقتل جماعة من الأمراء وغيرهم... وكان أهل دمشق في خوف شديد على أنفسهم وأهليهم وأموالهم... وهرب جماعة من أعيان البلد وغيرهم إلى مصر، كالقاضي إمام الدين الشافعي، وقاضي المالكية الزواوي، وتاج الدين الشيرازي، وعلم الدين الصوابي والي البر، وجمال الدين بن النحاس والي المدينة، والمحتسب وغيرهم من التجار والعوام، وبقي البلد شاغراً ليس فيهم حاكم سوى نائب القلعة".

"وفي ليلة الأحد ثاني ربيع الأول كسر المحبوسون بحبس باب الصغير الحبس وخرجوا منه على حميّة، وتفرقوا في البلد، وكانوا قريباً من مائتي رجل، فنهبوا ما قدروا عليه، وجاؤوا إلى باب الجابية فكسروا أقفال الباب البراني وخرجوا منه إلى بر البلد... ثم يتحدث عن كسر أبواب البساتين، وقلع الأبواب والشبابيك، وعن غلاء الأسعار وغير ذلك"[2] .

تلفتت دمشق في هذه الأيام العصيبة، فلم تجد إلى عالمها الشجاع ابن تيمية، الذي أرسل إلى نائب القلعة من يقول له: لو لم يبق فيها إلا حجر واحد فلا تسلمهم ذلك إن استطعت، وعندما أقبل علماء السوء نحو قازان يخطبون له على المنابر، ويحظون بشيء من ذهبه وفضته، كان شيخ الإسلام مشغول بما يدخل الأمان على قلوب الناس الخائفين، وما

---

[1] - الكواكب الدرية، ص: 182، ومنه نقلت ما كتبته عن جهاد شيخ الإسلام في موقعة "شقحب".

[2] - البداية والنهاية: 14/6 مع الاختصار.

كان يفكر بخاصة نفسه، فهو من جهة يحاول مقابلة قازان مرة أخرى لأخذ الأمان منه، وعندما يحجبه عنه وزيره، يكرر المحاولة بعد ارتحال قازان عن بلاد الشام، وينجح في مقابلة نائبه "أمير بولائي" وتمكن من استنقاذ كثير من أسرى المسلمين، وكان من بين الذين استنقذهم الأسرى من الشاميين الذميين.

ومن جهة أخرى يدور كل ليلة على الأسوار يحرض الناس على الصبر والقتال، ويتلو عليهم آيات الجهاد والرباط.

وفي جميع أحواله [سواء كانت دمشق تخضع لسيطرة التتار أم لسيطرة سلطان المسلمين] كان آمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر:

ففي سنة تسع وتسعين وستمائة وقبل قدوم العساكر المصرية بأيام دار الشيخ تقي الدين ابن تيمية وأصحابه على الخمارات والحانات فكسروا آنية الخمور وشققوا الظروف وأراقوا الخمور، وعزروا جماعة من أهل الحانات المتخذة لهذه الفواحش، ففرح الناس بذلك.

وفي سنة إحدى وسبعمائة ثار جماعة من الحسدة على الشيخ تقي الدين ابن تيمية وشكوا منه أنه يقيم الحدود ويعزر ويحلق رؤوس الصبيان، وتكلم هو أيضاً فيمن يشكو منه ذلك، وبين خطأهم، ثم سكنت الأمور.

وفي سنة أربع وسبعمائة أحضر إلى الشيخ تقي الدين ابن تيمية شيخ كان يلبس دلقاً كبيراً متسعاً جداً يسمى المجاهد إبراهيم القطان، فأمر الشيخ بتقطيع ذلك الدلق فتناهبه الناس من كل جانب وقطعوه حتى لم يدعوا فيه شيئاً وأمر بحلق رأسه، وكان ذا شعر، وقلم أظفاره وكانوا طوالاً جداً، وحف شاربه المسبل على فمه المخالف للسنة، واستتابه من كلام الفحش وأكل ما يغير العقل من الحشيشة وما لا يجوز من المحرمات وغيرها.

وبعـده استحضـر محمـد الخبـاز البلاسـي فاسـتتابه أيضـاً عـن أكـل المحرمات ومخالطة أهل الذمة، وكتب عليه مكتوباً أن لا يتكلم في تعـبير المنامات ولا في غيرها بمـا لا علـم لـه بـه. وفـي هـذا الشـهر[1] بعينـه راح الشيخ تقي الـدين بـن تيميـة إلـى مسـجد التاريـخ وأمـر أصـحابه ومعهـم حجارون بقطع صخرة كانت هناك بنهـر قلـوط تـزار وينـذر لهـا، فقطعهـا وأراح المسلمين منها ومن الشرك بـها، فأزاح عن المسلمين شـبهة كـان شرها عظيماً، وبـهذا وأمثاله حسدوه وأبرزوا له العـداوة، وكـذلك بكلامـه بابن العربي وأتباعه، فحسد على ذلك وعودي، ومع هذا لم تأخذه في الله لومة لائم، ولا بالى، ولم يصلوا إليه بمكروه، وأكثر ما نالوا منه الحبش مع أنه لم ينقطع في بحث لا بمصر ولا بالشام، ولم يتوجه لهم عليه ما يشين وإنما أخذوه وحبسوه بالجاه كما سـيأتي، وإلـى اللـه إيـاب الخلـق وعليـه حسابـهم".

أما المحن التي ابتلي بـها الشيخ رحمه الله بسبب مواقفه واجتهـاداته، فنشير فيما يلي لأهمها:

في عام 705 هـ حبس أياماً في برج بمصر، ثم نقل منه ليلة العيد إلـى الحبس المعروف بالجب، هو وأخوه شرف الدين عبد الله، وخرج من هذا السجن عام 707 هـ، ثم أعيد إلى السجن - حبس القضـاة - فـي شـوال عام 707 هـ، وانتهت هذه المحنة بعودة السلطان ناصـر بـن قلاؤون إلـى الحكم في 13 من شعبان عام 709 هـ، وكان الأفراج عن ابن تيميـة فـي 8 شوال 709 هـ، وعندما استفتاه السلطان في قتل بعض القضاة بسبب ما كانوا تكلموا فيه، فقال له: إذا قتلت هؤلاء لا تجد بعدهم مثلهم، فقـال: إنـهم قد آذوك وأرادوا قتلك مراراً، فقال: من آذاني فهو في حل.

وفي يوم الخميس ثاني عشرين رجب من سنة عشرين وسبعمائة عقد مجلس بدار السعادة للشيخ تقي الدين ابن تيمية بحضرة نائب السـلطنة، وحضر فيه القضاة والمفتون من المذاهب، وحضـر الشـيخ وعـاتبوه علـى

[1] - شهر رجب من عام: 704 هـ.

العود إلى الإفتاء بمسألة الطلاق ثم حبس في القلعة فبقي فيها خمسة أشهر وثمانية عشر يوماً، ثم ورد مرسوم من السلطان بإخراجه يوم الاثنين - يوم عاشوراء - من سنة إحدى وعشرين وسبعمائة.

"وفي السابعة من شعبان 726 هـ صدر مرسوم بحبسه بسبب فتواه بعدم جواز شد الرحال لزيارة قبور الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وقبور الصالحين، وبعد أيام أمر قاضي القضاة الشافعي في حبس جماعة من أصحاب الشيخ تقي الدين".

وفي ليلة الاثنين العشرين من ذي القعدة سنة ثمان وعشرين وسبعمائة، توفي شيخ الإسلام ابن تيمية بقلعة دمشق بالقاعة التي كان محبوساً بها"[1].

عجز كيد المرجفين وعداوة الحاسدين وخشونة سجون الظالمين، عن النيل من شموخ شيخ الإسلام ابن تيمية وعلو همته، وأشهد بأني ما وجدت في أقوال العلماء الأئمة مثل تفسيره للمحن والابتلاءات، يقول رحمه الله:

"ما يصنع أعدائي بي، أنا جنتي وبستاني في صدري أين رحت فهي معي لا تفارقني، أنا حبسي خلوة، وقتلي شهادة، وإخراجي من بلدي سياحة، وكان يقول في مجلسه في القلعة:

لو بذلت ملء الأرض ذهباً ما عدل عندي شكر هذه النعمة، أو قال: ما جزيتهم على ما تسببوا إلى فيه من الخير ونحو هذا. وكان يقول في سجوده وهو محبوس:

---

[1] - البداية والنهاية: 14/1 - 135، والكواكب الدرية.

"اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك ماشاء الله. وقال لي مرة [1] : المحبوس من حبس قلبه عن ربـه، والمأسـور مـن أسـره هـواه، ولما أدخل ووصل إلى القلعة وصار داخل سورها، نظر إليه وقال:

[فضرب بينهم بسور له بـاب، بـاطنه فيـه الرحمـة وظـاهره مـن قبلـه العذاب]. وعلم الله ما رأيـت [مـا يـزال الكلام لابـن القيـم] أحـداً أطيـب عيشاً منه قط، مع ما كان فيه من ضيق العيش وخلاف الرفاهيـة والنعيـم بل ضدها، ومع ما كان فيه من الحبس والتهديد والإرجـاف، وهـو مـع ذلـك أطيب الناس عيشاً، وأشرحهم صدراً، وأقواهم قلباً، وأسرهم نفساً، تلـوح نضرة النعيم على وجهه، وكنا إذا اشتد بنـا الخـوف وسـاءت بنـا الظنـون، وضاقت بنا الأرض، أتيناه فما هو إلا أن نـراه ونسـمع كلامـه فيـذهب ذلـك كله، فينقلب انشراحاً وقوة ويقيناً وطمأنينة"[2] .

ومن شجاعته وترفعه عن التقرب إلى أولي النهي والسلطان ما حكـاه في الكواكب قال:

"لما وشوا به إلى السلطان الأعظم الملك الناصر لدين الله، وأحضـره بين يديه قال من جملة كلامه: إنني أخبرت أنـك قـد أطاعـك النـاس، وأن في نفسك أخذ الملك، فلم يكترث به، بل قال لـه بنفـس مطمئنـة وقلـب ثابت، وصوت عال سمعه كثير من حضر:

أنا أفعل ذلك؟ والله إن ملكك وملـك المغـول لا يسـاوي عنـدي فلسـاً، فتبسم السلطان لذلك وأجابه في مقابلة بما أوقع اللـه لـه فـي قلبـه مـن الهيبة العظيمـة: إنـك واللـه لصـادق، وإن الـذي وشـى بـك إلـي لكـاذب، واستقر له في قلبه من المحبة الدينية ما لولاه لكان قد فتك به منـذ دهـر

---

[1] - هذا النص كله يرويه عنه تلميذه ابن قيم الجوزية الذي كان محبوساً معه في سجن القلعة.

[2] - الكلم الطيب والعمل الصالح، لابن القيم [عن كتاب حياة شيخ الإسلام ابـن تيميـة لمؤلفه محمد بـهجت البيطار].

طويل من كثرة ما يلقى إليه في حقه مـن أقاويـل الـزور والبهتـان، ممـن ظاهر حاله العدالة، وباطنه مشحون بالفسق والجهالة" [3].

لقد كان السلطان يعلم من سيرة هـذا الشـيخ ومـن مـواقفه المجـردة من الأهواء والمنـافع أن ملكـه وملـك المغـول لا يسـاوي عنـد ابـن تيميـة فلساً، فكيف بما هو أدنى من ذلك كمنصب وزير أو قاضي القضاة أو غيــر ذلك؟، أما شيخ الإسلام فما كان يبـالي بمـا سـيفعله السـلطان عنـدما رد عليه هذا الرد الحاسم.

إن أمـة يـبرز فيهـا أمثـال ابـن تيميـة لابـد وأن تتبـوأ مكانتهـا القياديـة المرموقة، وإذا تعرضت لانتكاسة كما حدث في غزوة التتار، فـإن فشـلها إلى نجاح وهزيمتها إلى نصر بإذن الله، فليتق الله الذين يبررون تخـاذلهم بشواهد يستدلون بـها من أقوال شيخ الإسلام، أو ليبينوا لنا كيـف يقـرأون ويفهمون هذه المواقف التي عرضناها؟◆◆◆

[3] - حياة شيخ الإسلام ابن تيمية، للشيخ محمد بـهجت البيطار، ص: 15.

الشبهة الثانية

يقولـون: إن الأوضـاع العامـة فـي بلـدنا - رغـم وجـود بعـض الأخطـاء والانحرافات - أفضل مما هي عليه في البلدان المجاورة، بـل م ـن الظلـم مقارنة هذا بذاك، والواجب شكر الله على نعمـه الكـثيرة الـتي أنعـم بـها علينا، ونسأله جل وعلا أن يجنبنا الخلافات والفتن والحروب التي تشـهدها البلدان الأخرى.

وقولهم هذا عائم وغير منضبط بالضوابط الشرعية، وفيه حيدة ظاهرة عن الحق، ومن الدلائل على ذلك أن بعض العلمـاء والـدعاة فـي كـل بلـد يستطيعون ترديد مثل هذا الادعـاء، ولا يعـدمون ميـزة يمتـازون بـها عـن غيرهم، وتدفعهم إلى الافتخار بـها.

ومن جهة أخرى فقد يكون في البلد المفضول قدر مـن الحريـة يسـمح بنقد المسؤولين وبيان أخطائهم، ثم تنتشر هذه الأخطـاء والمفاسـد فـي وسائل الإعلام ويتحدث بـها القاصي والداني، في حين تنعدم هذه الحريـة في البلد الفاضل [حسب ادعائهم] ولا تجرؤ وسائل الإعلام على نقد أحـد كبار المسؤولين، ومن يفعل ويقترف مثل هذه الجريمة فإنه معـرض لأيـة عقوبة، وقد تبلغ حد المـوت. أمـا إذا اطمـأن المواطنـون فـي مجالسـهم الخاصة، وداخل الأبواب المغلقة، وأمنوا شر الجواسيس، فيتحـدثون عـن أضعاف المفاسد التي تشهدها البلدان الأخرى، ثم لابد بعد ذلـك أن تبقـى بعض الانحرافات المجهولة التي لا يعرف الناس شيئاً عنها.

ومن جهة ثالثة فقد يكون نقد البلدان الأخرى وسيلة من وسـائل تجنيـد الدولة لهذا النوع من الدعاة في حملتها الدعائيـة المعاديـة لهـذه الدولـة، وليس للدعوة الإسلامية أية فائدة من هذه المهاترات الشخصية الفاجرة.

ومن جهة رابعة فقد يكون الحال في بلد من البلـدان أفضـل حـالاً ممـا هو عليه في البلدان الأخرى، ومع ذلك فإن هذه الحقيقة لا تعفـي العلمـاء والدعاة من وجوب إنكار المنكر في بلدهم، وبيان حكمها الشـرعي، وهـم آثمون إذا لم ينهضوا بمـا أوجبـه اللـه عليهـم، ولنـدلل علـى ذلـك بالمثـال الآتي:

لنفترض أن السلطان في البلد الفاضل أصدر مرسوماً تشريعياً يسمح بإقامة بنوك ربوية، وينظم مقدار الفائدة، وبموجب هذا القـانون أصـبحت هذه البنوك بأبنيتها الشاهقة معلماً من معالم المدن داخـل البلـد المشـار إليه، ويستطيع أي باحث لهذه المسألة أن يتوصل لمعلومـات دقيقـة عـن تعامـل هـذه الدولـة: مـع صـندوق النقـد الـدولي، ومـع البنـوك العالميـة والمحلية، وعن مقدار الاستثمارات الربوية في البنوك الغربية وغيرها.

ولنفترض أن العلماء قابلوا السلطان، وتحدثوا معه بطريقة مهذبة عـن عيوب هذا المرسوم ومخالفته لشرع الله، ثم وعدهم كعادته خيراً، ومرت الأيام والأعوام دون أن يروا بصيصاً من هذا الخير الذي وعـدهم بـه، وهـم يرون أنه ليس من اللائق أن يكلموه مرةً أخـرى بالمسـألة نفسـها لأنـهم يخشون الفتنة(!!)، وما يعجز غيرهم عن أخذه بـالقوة هـم قـادرون علـى أخذه بالحسنى... غير أنـهم عادوا إليه مرة أخرى يطلبون ما هو أقـل مـن ذلك بكثير... عادوا يطلبون إصدار مرسوم يسمح بإقامـة بنـوك إسـلامية، كما هو الحال في بعض البلدان العربية الأخرى التي يكثرون مـن الحـديث عما فيها من الفتن والفساد، أو كما هو الحـال فـي بعـض الـدول الأوربيـة الكافرة التي سمحت بقيام هـذا النـوع مـن البنـوك، ووعـدهم سلطانـهم خيراً، ولكن هذا الوعد كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء.

وزيادة على إخلافه بالوعد فقـد وردت العلمـاء معلومـات وفيـرة تؤكـد عداوة هذا السلطان للبنوك الإسلامية، وسعيه الحـثيث مـن أجـل وصـول هذه المشاريع الإسلامية إلـى طريـق مسـدود، ولهـذا فهـو يحـرك أشـباه

المثقفين إعلامياً ضد هذه البنوك، ويحذر أكثر الحكام الـذين يلتقـي بــهم من الأصولية (!!) التي تقف وراء هذه البنوك.

والسؤال المطروح:

ما هو الحكم الشرعي في هذه المسألة؟ وما الذي يجب علـى العلمـاء فعله؟.

الجواب: فصّل علماؤنا القول في أمثال هذه المسألة، ولنـدع الجـواب فيما يلي لشيخ الإسلام ابن تيمية، يقول رحمه الله:

"كل طائفة خرجت عن شريعة من شرائع الإسلام الظـاهرة المتـواترة فإنه يجب قتالها باتفاق أئمـة المسـلمين؛ وإن تكلمـت بالشـهادتين. فـإذا أقـروا بالشهادتين وامتنعـوا عن الصـلوات الخمـس وجـب قتـالهم حـتى يصلوا. وإن امتنعوا عن الزكاة وجب قتالهم حتى يؤدوا الزكاة، وكـذلك إن امتنعوا عن صيام شهر رمضان أو حـج الـبيت العـتيق. وكـذلك إن امتنعـوا عن تحريـم الفـواحش، أو الربـا، أو الميسـر، أو الخمـر، أو غيـر ذلـك مـن محرمات الشريعة. وكذلك إن امتنعـوا عـن الحكـم فـي الـدماء والأمـوال والأعراض والأبضاع ونحوها بحكم الكتاب والسنة. وكذلك إن امتنعوا عــن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وجهاد الكفار إلى أن يسـلموا ويـؤدوا الجزية عن يد وهم صاغرون.

وكذلك إن أظهروا البدع المخالفة للكتاب والسـنة واتبـاع سـلف الأمـة وأئمتها؛ مثل أن يظهروا الإلحاد في أسماء الله وآياته، أو التكذيب بأسـماء الله وصفاته، أو التكذيب بقدره وقضائه، أو التكذيب بما كان عليه جماعــة المسلمين حتى يـدخلوا فـي طـاعتهم الـتي تـوجب الخـروج عـن شـريعة الإسلام، وأمثال هذه الأمور، قال تعالى: [illegible]

[1] - مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، مطابع الرياض: 28/510.

[2] - سوف نعود - إن شاء الله - إلى الحديث عن مواقف شيخ الإسلام ابن تيمية وفتواه في قتال التتار عند الحديث عن الاستطاعة.

[illegible] [illegible] [illegible] [

قيمة ما يصدر عنهم من فتاوى
في المسائل المتعلقة بالسلطان ونظامه

جاء في كتاب أعلام الموقعين ما يلي:

"ذكر أبو عبد الله بن بطة في كتابه في الخلع عن الإمام أحمد أنه قال:

لا ينبغي للرجل أن ينصّب نفسه للفتيا حتى يكون فيه خمس خصال: أولها: أن تكون له نية، فإن لم يكن له نية لم يكن عليه نور ولا على كلامه نور. والثانية: أن يكون له علم وحلم ووقار وسكينة. والثالثة: أن يكون قوياً على ما هو فيه وعلى معرفته. الرابعة: الكفاية وإلا مضغه الناس. الخامسة: معرفة الناس. وهذا مما يدل على جلالة أحمد ومحله من العلم والمعرفة؛ فإن هذه الخمسة هي دعائم الفتوى، وأي نقص منها ظهر الخلل في المفتي بحسبه" [1].

وعلماء السلطان لا تتوفر فيهم هذه الخصال الخمس، وأنا أنقل فيما يلي كلام ابن القيم في شرحه لهذه الخصال، ثم أعلق عليها:

1 - يقول عن النية: "فكم بين مريد بالفتوى وجه الله ورضاه والقرب منه وما عنده، ومريد بها وجه المخلوق ورجاء منفعته وما يناله منه تخويفاً أو طمعاً!".

2 و 3 - "فليس صاحب العلم والفتيا إلى شيء أحوج منه إلى الحلم والسكينة والوقار... فبالعلم تنكشف له مواقع الخير والشر والصلاح والفساد، وبالحلم يتمكن من تثبيت نفسه عند الخير فيؤثره ويصبر عليه".

ويقول عن السكينة: "وهي طمأنينة القلب واستقراره وأصلها في القلب، ويظهر أثرها على الجوارح... وهذه السكينة هي التي حصلت لإبراهيم الخليل وقد ألقي في المنجنيق مسافراً إلى ما أضرم أعداء الله من النار... وكذلك السكينة التي حصلت لنبينا [illegible]".

[1] - أعلام الموقعين عن رب العالمين، ابن قيم الجوزية، 4/199.

[illegible]

1 - تمندل: أي استخدمونا كما يستخدمون المناديل التي يمسحون بها أوساخهم.

2 - أعلام الموقعين: 4/199 - 205.

[illegible]

[1] - اطلعت قبل أشهر على أقوال لشيخ الأزهر ومفتي مصر في الرافضة وفـي أمـور أخرى تنم عن جهل يترفع عنه حتى المبتدئ في طلب العلم.

"لو كان الدين عند الثريا لناله رجال من فارس" [2].

وقد ورد في الحديث: [illegible] ما يدل على أن الدين لا يقتصر على العبادات المحضة، بل يشمل كل ما فيه خير للأمة، ومن ذلك:

- [illegible] أن يكون في الأمة من يتفقه في الدين ويعلمه للناس.

- [illegible] أن يكون في الأمة من يدافع عن الدين ويرد شبهات أعدائه.

- [illegible] أن يكون في الأمة من يسعى في مصالح الناس الدنيوية التي لا تتعارض مع الدين.

- [illegible] أن يكون في الأمة من يحافظ على البيئة والموارد الطبيعية.

- [illegible] أن يكون في الأمة من يعمل على تقدم العلوم والتكنولوجيا.

- [illegible] أن يكون في الأمة من يهتم بالفنون والآداب.

- [illegible] أن يكون في الأمة من يهتم بالرياضة البدنية.

- [illegible] أن يكون في الأمة من يهتم بالسياسة والاقتصاد.

[illegible]

[2] - مر معنا هذا القول فيما ذكرناه عن الإمام أبي حنيفة.

[1] - ليس هذا موضع إجماع أهل السنة، كما بينت ذلك فيما مضى.

[2] - صحيح مسلم، الحديث رقم: 1225، كتاب الإمارة.

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[1] - أخرجه الحاكم في المستدرك وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجـاه، وذكـره الألبـاني في السلسلة الصحيحة 1/374.

ليس لأحدٍ منهم عذر

سنمضي تحت هذا العنوان: "ليس لأحدٍ منهم عذر" في الحديث عن رد فتوى هؤلاء العلماء الـتي تتعلـق بالسـلطان ونظـام حكمـه، وفـي دحـض شبهاتـهم التي يدافعون بـها عن قبولهم المناصب والأعطيات، فنقول:

للعلماء دور كبير في استقرار الحكم والحـاكم، وفـي إضـفاء الشـرعية عليه، لأن الناس يحترمونـهم، وينتظرون مواقفهم وفتاويهم في الأحــداث المهمة، وإن قالوا أصغت الغالبية لقـولهم، وتلقتـه علـى أنـه ديـن وحكـم شرعي.

ولما كـان الحكـام لا يهتمـون بشـيء كمـا يهتمـون بمناصـبهم وبطاعـة الناس لهم، ولما كان العلماء خيراً لهم من أسطول إعلامـي ضـخم، لهـذا وذاك فقد سعوا منـذ القـديم إلـى كسـب ود العلمـاء، واسـتخدموا معهـم سلاح الترغيب تارة، وسلاح الترهيب تارة أخرى، ووجدوا بعد خبرة طويلة أن الترغيب أعظم نفعاً وأكثر جدوى من الترهيب، وهذا الـذي كـان يحـذّر منه أئمـة السـلف رحمهـم اللـه، يقـول سـفيان الثـوري: "مـا أخـاف مـن إهانتهم لي إنما أخاف من إكرامهم فيميل قلبي إليهم[1].

وكان أبو حامـد الغزالـي رحمـه اللـه يفـتي بعـدم جـواز أخـذ أعطيـات الظالمين وقبول ولاياتـهم، فقال له بعض الذين يخالفونه فيمـا أفـتى بـه: إن بعض الصـحابة والتـابعين كـانوا يأخـذون أعطيـات وجـوائز الظـالمين، فكان له هذا القول الجميل في الرد عليهم:

"إن الظلمة في العصر الأول لقرب عهدهم بزمـان الخلفـاء الراشـدين كانوا مستشعرين من ظلمهم ومتشـوفين إلـى اسـتمالة قلـوب الصـحابة والتابعين وحريصين علـى قبـولهم عطايـاهم وجـوائزهم، وكـانوا يبعثـون إليهم من غير سؤال وإذلال. بل كانوا يتقلـدون المنـة بقبـولهم ويفرحـون

[1] - تلبيس إبليس، ابن الجوزي، دار الفكر، ص: 122.

به، وكانوا يأخذون منهم ويفرقون ولا يطيعون السلاطين في أغراضهم ولا يغشون مجالسهم ولا يكثرون جمعهم ولا يحبون بقاءهم بل يدعون عليهم ويطلقون اللسان فيهم وينكرون المنكرات منهم عليهم، فما كان يحذر أن يصيبوا من دينهم بقدر ما أصابوا من دنياهم ولم يكن بأخذهم بأس، فأما الآن فلا تسمح نفوس السلاطين بعطية إلا لمن طمعوا في استخدامهم والتكثر بهم والاستعانة بهم على أغراضهم والتجمل بغشيان مجالسهم وتكليفهم المواظبة على الدعاء والثناء والتزكية والإطراء في حضورهم ومغيبهم، فلو لم يذل الآخذ نفسه بالسؤال أولاً، وبالتردد بالخدمة ثانياً، وبالثناء والدعاء ثالثاً، وبالمساعدة له على أغراضه عند الاستعانة رابعاً، وبتكثير جمعه في مجلسه وموكبه خامساً، وبإظهار الحب والموالاة والمناصرة على أعدائه سادساً، وبالستر على ظلمه ومقابحه ومساوئ أعماله سابعاً، لم ينعم عليه بدرهم واحد ولو كان في فضل الشافعي رحمه الله مثلاً [1] ، فإذاً لا يجوز أن يؤخذ منهم في هذا الزمان ما يعلم أنه حلال لإفضائه إلى هذه المعاني فكيف ما يعلم أنه حرام أو يشك فيه؟ فمن استجرأ على أموالهم وشبّه نفسه بالصحابة والتابعين فقد قاس الملائكة بالحدادين" [2] اهـ.

إن غشيان العلماء لمجالس الأئمة العدول بقصد تذكيرهم بيوم الحشر والمعاد، وتحذيرهم من الركون إلى الدنيا، وتبليغهم بمظالم الرعية التي لم تبلغهم واجب شرعي لقوله صلى الله عليه وسلم: "الدين النصيحة، قلنا: لمن؟ قال: لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم" [3] ، بل هو [النصح] أصل عظيم من أصول الإسلام، وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم عندما يبايع أحداً، يشترط عليه النصح لكل مسلم. قال جرير

---

[1] - للشافعي رحمه الله فضائل كثيرة، ولكن إفراد أبي حامد الغزالي لاسمه في هذا الموضع دليل على تعصبه المذهبي.

[2] - إحياء علوم الدين، لأبي حامد الغزالي: 2/139.

[3] - رواه مسلم في كتاب الإيمان.

بن عبد الله رضي الله عنه: "بـايعت النـبي صـلى اللـه عليـه وسـلم عل ى النصح لكل مسلم" [1].

أما إذا كان السلطان ظالماً مفسداً كذاباً، لا يقبل نصحاً، ولا يفي بوعد، فقد وردت الآثار باعتزال مجلسه، ورفض أعطياته.

- عن كعب بن عجرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسـلم: "سيكون بعدي أمراء، فمن دخل عليهم فصدَّقهم بكذبـهم، وأعانـهم علـى ظلمهم فليس مني ولست منه وليس بوارد علي الحوض، ومن لم يـدخل عليهم ولم يعنهم على ظلمهم ولم يُصدِّقهم بكذبـهم، فهـو منـي وأنـا منـه وهو وارد عليّ الحوض" [2].

قال أبو سليمان الخطابي: "ليت شعري من الذي يدخل إليهم اليوم فلا يصدقهم على كذبـهم، ومن الذي يتكلم بالعدل إذا شهد مجالسـهم، ومـن الذي ينصح ومن الذي ينتصح منهم؟ إن أسلم لك يا أخي في هـذا الزمـان وأحوط لدينك أن تقلَّ من مخالطتهم وغشيان أبوابـهم ونسأل الله الغنـى عنهم والتوفيق لهم" [3].

- وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من بدا جفا، ومن اتبع الصـيد غفـل، ومـن أتـى أبـواب السـلطان افتتن، وما ازداد عبد من السلطان قرباً إلا ازداد من الله بعداً" [4].

- عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليـه وسلم: "ليأتين عليكم أمراء يقربون شرار الناس، ويـؤخرون الصـلاة عـن مواقيتها، فمن أدرك ذلك منكم فلا يكونن عريفاً، ولا شرطياً، ولا خازناً" [5].

ومما يجدر التذكير به هنا أننـا قـد بيّنـا فيمـا مضـى مـن هـذا البحـث أن الذين قبلوا المناصب من علماء السلف ما كانوا يبيعون دينهم بدنياهم، ولا

---

[1] - رواه مسلم في كتاب الإيمان، وانظر كتاب الإمامة العظمى عند أهل السنة والجماعة، مصدر سابق، ص:408 .

[2] - رواه الترمذي في الفتن، ورواه أحمد عن ابـن عمـر، وقـال أحمـد شـاكر: صـحيح الإسناد: 8/62، من المسند [عن الإمامة العظمى، ص: 400].

[3] - العزلة والخلطة [عن الإمامة العظمى، ص: 401].

[4] - أخرجه أحمد في المسند: 2/371، وذكره الشيخ الألباني فـي سلسـلة الأحـاديث الصحيحة: 3/267، رقم: 1272.

[5] - رواه ابن حبان في موارد الظمآن، كتاب الإمارة.

كانوا يترددون في إنكار المنكر أو بيان الأحكام الشرعية عند الحاجة إليها متمثلين بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: " خير الشهداء حمزة بن عبد المطلب ثم رجل قام إلى إمام جائر فأمره ونهاه في ذات الله فقتله على ذلك" [1].

- وعن أبي أمامة رضي الله عنه أن رجلاً قال: يا رسول الله أي الجهاد أفضل؟ ورسول الله يرمي الجمرة الأولى فأعرض عنه، ثم قال له عند الجمرة الوسطى فأعرض عنه، فلما رمى جمرة العقبة ووضع رجله في الغرز قال: أين السائل؟ قال: أنا يا رسول الله. قال: "أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر" [2].

فإن قال قائل: إن هذه المنكرات التي تتحدثون عنها لا نراها في مجالس السلطان ومجالس كبار مساعديه وإننا لا نسمع منهم عند جلوسنا وإياهم إلا كل ما فيه خير للإسلام والمسلمين.

قلنا: يكفينا في رد هذه المقولة الإشارة إلى الأمثلة الثلاثة الآتية:

المثال الأول: مما هو معلوم من الدين بالضرورة أن بعض هؤلاء السلاطين نحوا شريعة الله كلها، وبعضهم نحوا بعض أحكام الشريعة، وأساءوا تطبيق البعض الآخر الذي أبقوه.

المثال الثاني: لقد تواترت أخبار ظلم السلاطين، وتحدثت حتى منظمات العفو الدولية عن السجون والمعتقلات التي امتلأت بالأبرياء من خيرة العلماء والدعاة إلى الله، وتقول أدق الإحصائيات الصادرة عن المحامين الذين يدافعون عن هؤلاء الضحايا أن عددهم في أحد البلدان العربية يبلغ ستين ألفاً فضلاً عن عدد الذين يعدمون أو عن عدد الذين يقتلون دون أن يحاكموا أو يسجنوا.

هذا ولا يستطيع عالم من العلماء الادعاء بأنه لم يسمع بأخبار الأراضي التي اغتصبها إخوان الملوك والرؤساء وأبناؤهم من مالكيها الذين ورثوها

[1] - أخرجه الحاكم في المستدرك وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وذكره الألباني في السلسلة الصحيحة 1/374.

[2] - أخرجه أحمد في المسند: 5/251، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة: 1/62 [أنظر الإمامة العظمى: ص: 410].

عن آبائهم أو التي أفنوا سني عمرهم حتى جمعوا ثمنهـا، وإن أي مـواطن يستطيع ضرب أمثلة على هذا الظلم الصارخ مما يحدث في مدينته أو في منطقته.

ولا يستطيع أي عالم من العلماء - أيضاً - الادعاء بأنه لم يسـمع بأخبـار أصحاب الشركات أو المؤسسات التجارية الذين يـذهبون مضـطرين إلـى إخوان الملوك والرؤساء يعرضون عليهـم مشـاركتهم بنسـبة تـتراوح بيـن الربع والنصف [دون أن يدفعوا قرشاً واحداً] مقابل حمايتهم من إخوانـهم أو أبناء عمومتهم، وكلما علت مكانة المسؤول كلما كان السعر باهظاً.

وليس من العلماء من يجهل أمر العصابات التي تتنافس علـى السـلب والنهب، وكل عصابة يتولى قيادتـها وحمايتها قطـب مـن أقطـاب النظـام تبدأ به وتنتهي بأطراف متعددة داخل البلد وخارجه، وقد أطلقت الصحافة في بعض البلدان على هذه العصابات مصطلح (القطط السمان)[1]، وصدر في أمريكا وأوربا عدد من الكتب ومئات المقالات عن هذه الفضـائح مثـل صـفقات الأسـلحة وغيرهـا وغيرهـا، والعملاء الـذين كـان دورهـم ثانويـاً أصبحوا بعد عدد من هذه الصفقات يملكون المليارات من الدولارات فمـا بالكم بما يملكه رئيس العصابة الذي لا يرضى أحياناً إلا أن يكون ما يدخل جيبه مساوياً لثمن الصفقة التي تم شراؤها.

المثال الثالث: كانت المنكرات والمفاسد التي يرتكبهـا أئمـة الجـور شخصية ومحدودة، فكتب التاريخ تحدثنا ع ن بعـض الخلفـاء الـذين ك انوا يقتنون الجـواري فـي قصـورهم، وكـان الخليفـة الـذي رق دينـه وأسـرته شهوته يتمتع بمن شاء منهن، وقد تشاركه الحاشية في مشاهدتـهن وهـن يرقصن ويغنين، أما اليوم فقـد أنشـأت الحكومـات دور الإذاعـة والتلفـاز، ونظمت برامجها وفق مراسيم صادرة عـن الجهـات الرسـمية المختصـة، وأصبح الغناء والرقص والموسيقى عملاً مشروعاً عند هذه الحكومات.

---

[1] - أعني بعض البلدان التي تسمح بـهامش يسير من الحرية.

كنا بالأمس وقبل بضعة عقود نستنكر فتح سينما في مدينة من المـدن، أما اليوم فقد دخلت هذه السينما بل عدد كبير م ن دور السـينما إلـى ك ل بيت، وأصـبحت الأجيـال الناشـئة تـتربى علـى ألفـاظ المغنيـة وحركاتــها ومعاني الأغنيات الهابطـة، وعلـى كـل هـذا الـذي جـاءوا بـه ممـا يخـدش الحياء، ويحض على الرذيلة... وزادوا الطين بلة عندما أدخلـوا مـا أسـموه البث المباشر، وكأن بلاء ما أحـدثوه م ن مفاسـد محليـة لا يكفـى فعملـوا على إدخال كل فساد في أوربا وغيرها، ثم دفعوا شركاءهم مـن أصـحاب رؤوس الأموال إلى إنشاء أقنية فضائية في البلدان الأوربيـة موجهـة نحـو البلدان العربية تخاطبهم بلغتهم، وتتمم مهمة إفساد الأجيـال لأنــها خـارج حدود الرقابة – هكذا يعتذرون - .

هذا عن دور الإذاعة والتلفـاز: أمـا الصـحافة فقـد أصـبحت وقفـاً علـى العلمـانيين مـن أهـل الكفـر والزندقـة وعلـى المنـافقين الـذين يبـدّلون مواقفهم كما يبدل المـرء ثـوبه، ونجـح المشـرفون[1] علـى هـذه الصـحف المشهورة في تجنيد الكتاب المعروفين بعدائهم للإسـلام: مثـل النصـارى [وخاصــة الموارنــة مــن نصــارى لبنــان]، وفلــول الرافضــة الحاقــدين، وشياطين اليسار الذين يعملون اليـوم فـي معيـة مـن كـانوا بـالأمس ألـد أعــدائهم، ودعــاة القوميــة العلمانيــة، ومنظــري الأنظمــة الرأســمالية اليمينية... كل هؤلاء الكتاب الذين يختلفون فـي الوسـائل والعقائـد جنـود في حزب الشـيطان، ويـدركون جيـداً أنــهم مـن خلال عملهـم فـي هـذه الصحف يخوضون معركة ضد حزب الرحمن.

والناظر في هذه الصحف - الرسمية منها أو شبه الرسمية - يقـرأ فيهـا الإعجـاب بالفلسـفة الوجوديـة والسـخرية مـن الصـحابة والتـابعين وتـابع التابعين، ويسلكون في ذلك أسـاليب خبيثـة ظاهره ا مـا يسـمونه البحـث العلمي وحقيقتها التشكيك والدس والافتراء، كما يقرأ فيها حملات إرهابية

[1] - إنـهم من أقطاب الأنظمة الحاكمة، وينفقون أرقاماً خيالية من أموال الأمة من أجل شراء ضمائر هؤلاء الكتاب.

حاقدة ضد الإسلاميين، وضد الإسلام السياسي [كما يدعون]، بحجة عداوة دعاة الإسلام السياسي للأنظمة التي تمتلك هذه الصحف وتشرف عليها.

ويقرأ فيها اهتمام منقطع النظير بأخبار الرياضة والرياضيين مع إبراز صورهم، وأنباء بطولاتهم المزعومة، ويقرأ فيها أخبار الراقصات والمغنيات يرافقها دعوة صريحة إلى ترقب ومشاهدة برامجهن في دور الإذاعة والسينما والتلفاز، ويقرأ أخبار المسؤولين مع نسائهم في حلهم وترحالهم، ويرى أشكالهم التي لا تختلف عن أشكال الكفار.

أما الإسلاميون فقد حيل بينهم وبين إصدار الصحف الخاصة بهم، كما حيل بينهم وبين الدفاع عن دينهم في صحافة القوم العلمانية إلا في حدود ضيقة جداً ومحدودة، فحتى المساواة بين الحقوق الممنوحة للعلمانيين والإسلاميين معدومة عند هؤلاء السلاطين، ولا أعدو الحقيقة عندما أقول: لا يمتلك الإسلاميون في طول البلاد وعرضها صحيفة إسلامية يومية واحدة، ولو صدرت مثل هذه الصحيفة في دولة أوربية[1] لفرض عليها حصار يحول بينها وبين الوصول إلى معظم البلاد العربية إن لم يكن إليها كلها.

قد يقول قائل: بل هناك مجلات إسلامية تصدر في بعض البلدان العربية! فأقول: هذا صحيح، ولكن السلاطين وأجهزة أمنهم يقفون وراء هذه المجلات التي تتخذ من الإسلام والمسلمين شعاراً واسماً تتسمى به وهي في حقيقتها ليست أكثر من مسجد من مساجد الضرار، ولهذا فهي مسخرة للتشنيع على الدعاة والجماعات الإسلامية، كما أنها مسخرة للتشكيك ببعض أصول الإسلام التي تغضب السلطان.

إذن: كيف يقول بعض العلماء: إننا لا نرى هذه المفاسد والمعاصي في مجالس السلاطين التي نتردد عليها؟! نسألهم بالله أن يرهفوا سمعهم، ويدققوا نظرهم، وأن لا ينظروا إلى

[1] - إن التعاون من أجل إصدار هذه الصحيفة واجب على الإسلاميين، كما أن خوض هذا الميدان بعمومه واجب.

ما حولهم بعين الرضى والمنفعة، بل بعين الورع والتقوى والزهد، ولو استجابوا لسؤالنا هذا لأيقنوا أن مفاسد السلاطين قد ملأت البر والبحر والجو [نقصد بالجو ما يحدث من مفاسد على طائراتهم]، ولعلموا أن اعتزال مجالس السلاطين من أضعف الإيمان.

وبعد هذا الاستطراد عن فساد السلاطين وظلمهم وتنحيتهم لشريعة الله، نعود إلى قول سفيان الثوري: "ما أخاف من إهانتهم لي إنما أخاف من إكرامهم فيميل قلبي إليهم".

رحم الله هذا الإمام الجليل، لقد كان ينظر بنور الله جلَّ وعلا إلى واقع عصرنا وما سبقه من عصور ويصفها وصفاً دقيقاً، ولو فطن العلماء اليوم إلى أبعاد قول سفيان لأعادوا النظر في كثير من مواقفهم التي كانت في بدايتها ليست أكثر من اجتهاد خاطئ فيه كثير من الغفلة وعدم التبصر بعواقب الأمور، ثم انتهت إلى المراوغة والشقاق والنفاق عند كثير منهم والعياذ بالله.

قلت غير مرة: رأيت صنفين من الحكام في هذا العصر:

صنف منهم: حاربوا الإسلاميين عامة دون أن يفرقوا ما بين داعية وداعية آخر أو بين جماعة وجماعة أخرى، وفضلاً عن ذلك فقد دعوا إلى الشرك والإلحاد والزندقة، وسخروا من الدين وسموا المتدينيين رجعيين... وهؤلاء كانت عاقبتهم وخيمة، وقد أذلهم الله وجعلهم عبرة لكل من يعتبر ويتعظ، وانقلب سحرهم على الساحر بعد هلاكهم، وأكسب صنيعهم هذا الدين أعواناً وأنصاراً، وأصبحت أفكارهم وقوميتهم وتقدميتهم مجالاً واسعاً للتندر والسخرية.

وصنف آخر: قربوا إليهم العلماء، وأسندوا إليهم وظائف كبيرة ولكنها خاوية من المضمون الفعال، وأغدقوا عليهم

الأموال ومنحوهم الأراضي الواسعة والمنح المجزية، فـاغتنى هؤلاء العلماء بعد فقر مدقع، وتلذذوا بنعم الدنيا التي ما كانوا يسمعون بـها بعد خشونة العيش التي تربوا عليها وعاشوا في كنفها أبا عن جد، واعتادوا ركوب السـيارات الفارهـة، وملكـوا مئات الملايين من الجنيهات والـدولارات... وبـاتوا أسـرى لمـا امتلكوه، وتناسوا أنـهم كـانوا م ن قبـل يحـذّرون الحكـام ممـا وقعوا هم فيه، وتعذّر عليهم التخلي عن مكاسبهم ووظائفهم وأعوانـهم وجلسائهم.

وهكذا كانت سياسة هذا الصنف من الحكام أكثر تـدميراً وأسـوأ عاقبـة من سياسة الصنف الأول، وتمكن السـلاطين الـذين يـدّعون أنــهم حمـاة لدين الله من نقض العديد من عرى الإسلام بعد أن ضـعفت نفـوس كـثير من العلماء، ووقعوا في تناقضات مؤسفة، وقعدوا عـن الأمـر بـالمعروف والنهي عن المنكر.

وصدق أبو حامـد الغزالـي رحمـه اللـه فالسـلاطين لا تسـمح نفوسـهم بعطيــة إلا للــذين يطمعــون فــي اســتخدامهم، والاســتعانة بــهم علــى أغراضهم، ولو لم يـذل الآخـذ نفسـه بالسـؤال وبالتسـكع علـى الأعتـاب، وبإظهار الحب والموالاة، وبالستر على ظلم السلاطين وفسادهم وقبائـح أفعالهم، لم ينعم عليهم هؤلاء بدرهم واحد.

تذكير بمنهج الاستدلال عند أهل السنة

يطير أعضاء حزب الولاة فرحاً بكل فتوى شاذة إذا كانت مما يرضاه ويريده السلطان، ويبذلون جهداً واسعاً من أجل تدريسها وترسيخ معانيها، ثم من أجل إشاعتها بين أكثر عدد ممكن من الناس.. ومما فعلوه في هذا المجال: جمع هذه الأقوال والفتاوى وإصدارها في كتيبات على شكل متون، وتولوا هم (!!) شرح هذه المتون بأساليبهم المتعسفة المعوجة وبألفاظهم البذيئة الشائنة.

وبحجة شرح هذه المتون أطلقوا ألسنتهم في شتم وتجريح من نحسبهم من خيرة العلماء والدعاة الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر، وما كان لهؤلاء من ذنب إلا قيامهم بواجب بيان الحكم الشرعي عندما دعت الحاجة إلى بيانه.

وبحجة شرحهم لهذه المتون قرروا أن العلماء الذين قالوا قولاً يرضاه السلطان الظالم المغيّر لشرع الله هم المرجعية المعتبرة لأهل السنة والجماعة في هذا العصر، ولا يجوز لأحد أن يتقدم عليهم بقول أو فعل... ومن تجرأ على ذلك فهو عندهم: مبتدع، متطرف، ضال، مضل، ويستعدون عليه ولاة الأمر دون النظر إلى ما عنده من أدلة شرعية، ودون النظر إلى ما في هذه الأدلة من صواب وخطأ، بل ولو أن أحداً من العلماء الكبار قال قولاً واحداً يغضب ولي أمرهم لأخرجوه من عضوية هذه المرجعية، وأطلقوا ألسنتهم بنهش عرضه، ويتناسون أنهم قبل أيام أو ساعات قلائل كانوا يعدونه من أولياء الله، ويتهمون كل من ينقده.

لا أريد الإطالة في وصف تناقضات حزب الولاة، وانتقالهم بسرعة فائقة من النقيض إلى ضده لأنني قد فصلت القول بأمرهم فيما مضى من هذا البحث، وإنما أريد الوقوف قليلاً عند مسألة المرجعية لأنني رأيت أن هذه المسألة قد التبست على بعض طلاب العلم الطيبين، فعندما

تتحدث مع أحدهم، وتسرد له ما عندك من أدلة شرعية يستمع إليك حتى إذا فرغت من مسألة قد أشبعتها بحثاً ودراسة قال لك:

ولكن الشيخ ... [وهو من هو] قال بخلاف ذلك.

وتقول له: يا أخي أنت طالب علم، وأنا قد عرضت عليك أدلة شرعية من كتاب الله وسنة رسوله وأقوال العلماء أو إجماعهم، فكيف تعرض عن ذلك كله وتتمسك بقول للشيخ؟!.

فيكون رده: لا أعتقد أن الشيخ قد غابت عنه هذه الأدلة عندما أفتى بغير ذلك، ثم يغلق باب الحوار معك عند تمسكه بقول الشيخ.

آخرون من طلاب العلم يخشون من إرهاب غوغاء حزب الولاة لاسيما وهم يرون بأعينهم صلاتهم الوثيقة بأجهزة الأمن، ويرون أيضاً عاقبة من خالفهم وقال بغير قولهم، بسبب هذا وذاك يلجأ طلاب العلم هؤلاء إلى التقية فيقولون:

القول عندنا ما يقوله شيوخنا، ثم يذكرون أسماء هؤلاء الشيوخ التي لا تتجاوز أصابع اليد الواحدة... وهذه هي المرجعية الإسلامية عندهم في العالم كله!!.

لهؤلاء الطيبين من طلاب العلم، أقول:

تعالوا أستعرض وإياكم ما تعلمناه من علمائنا وأئمتنا، والذي لا خلاف فيه بين أهل السنة والجماعة المتمسكين بمنهج السلف الصالح:

1 - مما اتفق عليه المسلمون أن ترد الأمور التي يختلفون فيها إلى كتاب الله وسنة نبيه. قال تعالى: [illegible]

[illegible]:

1 - إعلام الموقعين: 1/49.

2 - صحيح، كما قال الترمذي، انظر "الإرواء" (2521) و "السنة" لابن أبي عاصم رقم 31/54 [عن حاشية شرح العقيدة الطحاوية 431].

3 - شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي رقم (317).

4 - جامع البيان، لابن عبد البر: 1/97، وشرح العقيدة الطحاوية [432].

[illegible]

[5] - قول ابن عباس في وجوب التمتع بالعمرة إلى الحج أخرجه البخاري ومسلم وغيرهما من المحدثين وكذلك قول الشافعي، انظر الحكم بغير ما أنزل الله 1/52.

[2] - المصدر السابق.

[3] - الفتاوى الكبرى: 2/239.

[4] - فتح المجيد شرح كتاب التوحيد، للشيخ عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب، مكتبة دار البيان، ص:459

[5] - شرح العقيدة الطحاوية، المكتب الإسلامي، ص: 430

[1] - كان ذلك عن تسرع منهم يخالف ما هم عليه من تمسك بمنهج أهل الحق.

[illegible] [illegible] [illegible] [

[1] - للقاضي أبو الحسن علي بن عبد العزيز الجرجاني، طبقات الشافعية الكبرى: 3/460.

.. لكنهم لا يتعظون

إن واقع حال العلماء الذين ساروا في ركاب السلاطين الظلمة، ومذكراتهم التي كتبوها قبل مغادرتهم لهذه الدنيا الفانية [رغم ندرتها] تؤكد بأن السلاطين ما كانوا يحبونهم رغم الخدمات المهمة التي قدموها لهم في أيامهم الحرجة، وذلك لأن هؤلاء العلماء مهما بلغوا من رقة الدين، ومن القدرة الفائقة على النفاق لا يستطيعون تجاوز خط معين في هذا التعامل، فلم ينقل إلينا عن أحد منهم أنه كان يتعاطى المخدرات، أو يشرب الخمر، أو يدعو إلى الشرك والزندقة، أو يوالي أعداء الله من اليهود والنصارى، أو يتبنى عن قناعة حرب الله ورسوله والذين آمنوا.

هذا وسوف نختار الأمثلة التالية على ذلك:

1 - يقول الشيخ أحمد حسن الباقوري وزير الأوقاف في حكومة الثورة المصرية عام 1952: "وقد كانت بطانة عبد الناصر من أسوأ البطانات في الأرض إلا قليلاً ممن عصم الله، فكانوا يحرصون على استغلال قربهم منه: إما رجاء لخيره، وإما اتقاء لشره، وهم مع ذلك قليل جداً. ولقد كان من أشد ما ابتلاه الله به، أخذه بالنظام الهتلري في حكم الشعب، واستعانته برجال المخابرات النازية الذين حاولوا أن يصنعوا بمصر ما كانوا يصنعونه بألمانيا في عهد هتلر".

ويقول أيضاً: "وليس يرتاب الذين يؤرخون لهذه الثورة في أنها كانت كسائر الثورات، تستند إلى أمرين: أحدهما التوسع في نشر الجاسوسية، وثانيهما اصطناع أنصار يستغلون صلاتهم بالثوار. فأما التوسع في نشر الجاسوسية، فقد اقترن في أذهان الناس بأنه كلما استطاع الجاسوس أن ينصب شركاً لأحد خصوم الثورة، كان أولى بالرعاية والثقة به. وكان بعض هؤلاء يصطنعون في كل بيت، وكل مكتب أصدقاء لهم يأتونهم بأخبار - صادقة أو كاذبة - لقاء أجر معلوم، وقد نشأ عن ذلك أن أصبح

الوالد يتجسس على ابنه، والجميع ينتظرون من الدولة حسن المثوبة وجزل العطاء في منصب يسند إليهم أو مغنم يدر عليهم أخلاف الرزق الوسيع"[1] .

إن أجهزة التجسس تختلف من حيث القوة والضعف من بلد لآخر، ولكن لابد في النهاية من فرض المراقبة على كبار المسؤولين من العلماء، وقد تناط هذه المهمة بالشرطي الذي يحرس الشيخ أو بسائق سيارته أو بمدير مكتبه، وهذا كله غير أجهزة التصنت ذات التقنية العالية، وإذا كانت ظروف الشيخ الباقوري قد مكنته من نشر مذكراته بعد هلاك عبد الناصر، فغيره غير قادر على ذلك، أو لا يريد أن يقدم على عمل يفضح فيه نفسه.

وأكاد أقرر أنه ما من شيخ أسندت إليه مسؤولية كبيرة قد سلم في النهاية من بطش السلطان خاصة إذا تجاوز الخطوط الحمراء المرسومة له، وعندما يحدث مثل هذا التجاوز تصدر الأوامر الفورية بعزله، وقد يسمع خبر هذا العزل في الإذاعة كغيره من الناس، وقد تفرض عليه الإقامة الجبرية في منزله، ثم تبدأ السلطة بطريقة خبيثة بتسريب وثائق تفضح سيرة الشيخ، وتكشف سوء استخدامه للسلطة:

- فهذه صورة "شيك" ممهور بتوقيع الرجل الأول في الدولة تشير إلى استلام الشيخ مبلغاً كبيراً من المال مقابل فتوى شاذة أفتى بها أو مقابل خدمة مشبوهة قدمها للنظام.
- وتلك وثيقة أخرى تتحدث عن اختلاس الشيخ لعقار كبير من أملاك الدولة العامة التي كانت تتبع وزارته قبل عزله.

وفي غير هذا وتلك قد يتحدث الناس عن مؤامرة مزعومة، وقد يعترف المتآمرون تحت وطأة التعذيب بأنهم كانوا ينسقون أمورهم مع الشيخ،

---

[1] - بقايا ذكريات، للشيخ أحمد حسن الباقوري، ص: 205 و 237، وقد طرد الشيخ من الوزارة، بسبب وشاية كاذبة، ولم تشفع له الخدمات النادرة التي قدمها لعبد الناصر ونظام حكمه.

وقد يكون معظم هذه الوثائق مختلقاً ولا أصل له، والمقصود من ذلك تشويه سمعة الشيخ.

يتحدث الشيخ أحمد حسن الباقوري عن عدد من الشائعات التي روجها النظام ضده بعد طرده من الوزارة، ومن ذلك قوله:

"ولست أنسى ابني عبد العزيز عبد الوارث الدسوقي، الذي جاء في صباح اليوم التالي لاستقالتي مغيظاً محنقاً، ثم أخبرني أن من الاشاعات التي أطلقوها ضدي إشاعة غبية بقدر ماهي مضحكة، ووجه الإضحاك والغباء في هذه الشائعة أنني كنت في رحلاتي العالمية أحمل معي في حقيبة يدي عملات مختلف البلاد التي كنت أزورها، من فرنكات سنغالية، وأخرى فرنسية، وجنيهات استرلينية، وكانت هذه الحقيبة تأخذ مكانها في مكتبي بالوزارة مع مذكراتي ومقالاتي التي كنت أريد أن أحتفظ بها، وقد استولى القوم على هذا كله، ظانين أنه يحمل أسراراً تثبت أنني أدبر مؤامرة ضد عبد الناصر.

وكان كل ما في تلك الحقيبة لا يجاوز ثلاثمائة جنيه في عملات مختلفة. فقالت الإشاعات: إن عبد الناصر صادر منذ أيام بنك موصيري، ولم يعلم أن بنك موصيري موجود في حقيبة الشيخ الباقوري"[1] .

فهل عاد الشيخ إلى رشده بعد هذه الإهانات التي تلقاها من عبد الناصر ونظامه.. وهل اقتنع بأنه كان يحلِّقُ في غير سربه؟!.

لا، لم يعد إلى رشده، وسارع إلى قبول أول عرض يعرضه عبد الناصر عليه، مع أنه كان أقل من منصب وزير، وبعد هلاك عبد الناصر انضم إلى الجوقة التي تصفق لأنور السادات، ومن الأمثلة على ذلك الكلمة التي ألقاها في مؤتمر نظمته الحكومة لتأييد السادات والتنديد بمعارضيه، وكان مما قال فيه:

---

[1] - بقايا ذكريات، الباقوري، ص: 248.

"إن السلطان هو ظل الله في الأرض.. وظل الله في الأرض له حرمة ومهابة فلا يجوز المساس بالسلطان أو الإساءة إليه بكلمة.. حتى أن الفقهاء قالوا إذا كان السلطان يركب بغلة، وذيل بغلة السلطان مقطوع.. فلا يجوز التهكم على ذيل بغلة السلطان.. فكيف بالتهكم على السلطان"[1].

هذا والباقوري يعرف السادات جيداً، ويعرف الكثير عن حياته الخاصة قبل انقلاب يوليو 1952، ويعرف ما أثير ضده من قضايا سلوكية داخل مجلس قيادة الثورة مما جعل نجيب يتبنى قرار فصله من المجلس، وقد عطَّل هذا القرار تدخل عبد الناصر ليكسب صوتاً ضد نجيب، ومن ثم فإن هذا الدفاع عن السلطان وذيل بغلته جاء بعد استسلام السادات لإسرائيل وزيارته الذليلة لهم في القدس، وكان من المنتظر أن يقول الباقوري في هذه المناسبة كلمة يتقرب بها من ربه، لا سيما وأنه قد بلغ من الكبر عتياً.

2 – في شهر جمادى الأولى من عام 1398هـ وقف الشيخ محمد متولي شعراوي في مجلس الشعب المصري يرد على المعارضة، ويعدد فضائل رئيسه أنور السادات، وكان مما قاله:

" لو كان الأمر بيد لاعتبرت السيد رئيس الجمهورية في مقام الذي لا يسأل عما يفعل" وقال أيضاً:

" لو كان الأمر بيدي لأصدرت أمراً بمنع أذان الفجر بالميكرفون في جميع أنحاء الجمهورية والاقتصار في النداء على الصلاة بالصوت الطبيعي".

وكان الشيخ محمد عاشور[عضو مجلس الشعب المصري] من أبرز الذين تولوا الرد على الشيخ الشعراوي، ولهذا السبب فقد استغل حزب

[1] – مجلة المجتمع، العدد: 476 تاريخ: 9/5/1400هـ عن الصحف المصرية الصادرة في هذا التاريخ.

السـادات أكـثريته فـي المجلـس وأقـدم علـى إسـقاط عضـوية الشـيخ عاشور[1]، نسأل الله أن يرزقه الأجر والثواب على إنكاره لهذا المنكر.

ومن المؤسف حقاً أن الشيخ الشعراوي قد اسـتمر علـى إصـدار مثـل هذه التصريحات رغم خروجـه مـن الـوزارة، وتقـدمه فـي السـن، وشـدة وطأة الأمراض عليه، ومـن الأمثلـة علـى ذلـك قـوله مخاطبـاً الجماعـات والـدعاة فـي صـحن الأزهـر:"إن مـن يـثير هـذا الضـجيج هـم دخلاء علـى الإسـلام، ومدسوسـون بيـن الشـباب حـتى يفسـدوا عليهـم مجالسـهم ولقاءهم بالعلماء"[2].

تأمـل-أخـي القـارئ- قـوله "دخلاء علـى الإسـلام ومدسوسـون بيـن الشباب.." وهؤلاء من صفوة الدعاة الخيرين من أبناء مصر فكيف يتجنـى عليهم انتصاراً للسلطان وحزبه؟!.

3 – أما الدكتور عبد العزيز كامل فقد كان أحد السابقين الأولين فـي جماعة الإخـوان المسـلمين، وتـولى فيهـا مسـؤوليات مهمـة نـهض بـها بجدارة، وكان مـن خلال مسـؤوليته عـن قسـم الأسـر فـي الإخـوان ينـدد بالسطحية وثقافة المحاضـرات والنـدوات العامـة، ويـدعو إلـى الدراسـة والبحث والتعمق في فهم الأمور، كما كان بعيداً عـن الخلافـات وسياسـة المحاور.

وعندما وقعت المحنة عام 1954م وأدخل الإخوان إلى السجون، وكان عبد العزيز كامل من بينهم لم يستطع الصبر على حياة السجون وما فيهـا من تعذيب واضطهاد وتنكيل، لهذا فقد استجاب لكل ما يطلبه نظـام عبـد

---

[1] - أقوال متولي شعراوي ورد عاشور عليه أسفرت عن معركة إعلامية في الصحف المصرية، فكان من الصحفيين من ينتصر للأول، وهؤلاء يحركهم النظام في الصحف الكثيرة التابعة له، ومنهم-وهم قلة- من ينتصر للشيخ عاشور، ولينظر من شاء ما كتب في الصحف المصرية في شهر جمادى الأولى من عام 1398هـ، وما صدر من مؤلفات تضمن بعضها محضر هذه الجلسة.

[2] - كان ذلك في أول يناير سنة 1989م ومن العلماء الذين شاركوا شعراوي في التوقيع على هذا البيان: الشيخ محمد الغزالي، والشيخ محمد الطيب النجار، والشيخ عبد الله المشد، والشيخ عطية صقر، والشيخ عبد المنعم النمر، والشيخ يوسف القرضاوي.

الناصر منه، ومقابل هذه الاستجابة فقد أفرج عنـه، وأسـندت إليـه حقيبـة وزارة الأوقاف، وانتقل من النقيض إلى ضده، ولله في خلقه شؤون.

وعندما ابتليَ الإسلام والمسلمون في مصـر عـام 1965م سـاهم عبـد العزيز كامل ووزارته في إحدى جرائم العصر المهمة، وكان بعـض شـيوخ هذه الوزارة يعملون داخل السجون جنباً إلى جنب مـع رجـال الأمـن، أمـا عبد العزيز كامل فقد كان يكتب المقالات التي يدافع فيها عن عبد الناصر ويشبه نظامه بدولة رسول الله صلى الله عليه وسـلم فـي المدينـة، كمـا يشبه الإخوان المسلمين وسيد قطـب بالمنـافقين واليهـود فـي المدينـة، وهـؤلاء المنـافقون واليهـود كـانوا علـى اتصـال دائـم بالمشـركين خـارج المدينة [1].

واستمر عبد العزيـز كامـل فـي المشـاركة بالجريمـة طـوال عهـد عبـد الناصر، وفي مرحلة من عهد خليفته –أنـور السـادات- حيـث اضـطر إلـى ترك الوزارة أمام ضغط نائب رئيس الـوزراء وزيـر الخارجيـة عليـه الـذي كان يكره كل من له خلفية إسلامية[2].

وانتقل عبد العزيز كامل بعد تركه الوزارة إلى العمل مستشاراً لرئيس دولة عربية خارج مصر!!، وبقـي فـي هـذا المنصـب إلـى أن توفـاه اللـه، نسأل الله السلامة من مضلات الفتن.

إن هؤلاء وغيرهم كثير عندما انزلقوا في هذا الطريق الموحش، وألفـوا هذه الحياة، أدركوا رغـم كـل مـا قـدموه للسـلطان أنــهم لـن يسـتطيعوا إرضاءه، وأنـهم لن يبلغوا ما بلغه زملاؤهم العلمانيون، ومـا ذلـك إلا لبقايـا من دين في قلوبـهم، ورغم ذلك فقد أصروا على المضي في هذا الطريق

---

[1] - كان ينشر مقالاته في مجلة الاشتراكي، الأعداد: 18،90،29 عام 1965م، ومن العناوين التي كان يختارها " عندما تختفي الخيانة وراء الدين". [عن الاعتصام المصرية يناير 1980م]

[2] - هذا ما سمعته ممن كانت لهم صلة بعبد العزيز كامل، أما هو فكان يرفض الحديث أو الكتابة عن سيرة حياته سواءً في الإخوان أو في الحكم.

وعز عليهم التوبة الصادقة، وهذه عاقبة من طلـب رضـى النـاس بسـخط الله.

نصيحة:إن هذه الحياة الدنيا لا تساوي عند الله سـبحانه وتعـالى جنـاح بعوضة، لأنـها متاع زائل لا محالة مهما طال أجل المرء، وعلا شأنه، وكــثر ماله، وعندما تبلغ الروح الحلقوم تتراءى الأعمـال أمـام ناظري المتـوفى فيتمنى أن يخرج من هذه الدنيا لا لـه ولا عليـه. قـال اللـه جـلَّ وعلا علـى لسان مؤمن آل فرعون الذي كان يعظ قومه ويحذرهم من سوء العاقبة:

[illegible] [[illegible]: [illegible] - [illegible]].

[illegible]:

[illegible].

[illegible]:

[illegible]

[illegible][1]

[illegible]

---

[1] - جامع بيان العلم وفضله، لابن عبر البر: 1/193.

[illegible]...

[illegible]

[illegible]!.

[illegible]

[illegible]!.

[illegible]

[illegible]!.

[illegible]

[illegible]!.

[illegible]:

"[illegible]."

[illegible]

[illegible]:

- [illegible]:

[illegible]

- [illegible]:

[illegible]

- [illegible]:

[illegible]

[illegible]

- [illegible][1].

[illegible]

[illegible]

[illegible] "[illegible]"[2].

[illegible] "[illegible]"[3] ◆◆◆

---

1 - فليراجع من شاء البداية والنهاية، الجزء الرابع عشر، ومما يقتضي التنبيه في هـذا المقام أن عصر ابن كثير غير عصرنا، ولا يسـتوي فـي التشـبيه سـلطان ظـالم ولكنـه يحكم شرع الله، وآخر اتخذ من نفسه نداً لله.

2 - أخرجه أحمد والنسائي والترمذي وابن حبان في صحيحه.

3 - جامع بيان العلم وفضله: 1/167.

سؤال وجوابه

قيل لي: كُنتَ مسترسلاً في نقدك لمنهج حزب الغلاة، ولطريقة تعاملهم مع مخالفيهم، ثم وجدناك تنتقل فجأة - ومن غير مقدمات - إلى موضوع آخر يختلف عما كنت في صدده، بل رحت وربما كان ذلك عن غير قصد تقدم أدلة سوف يكون الغلاة أول من يستفيد منها في الدفاع عن أنفسهم، وفي تبرير وجود حزبهم، وفي الرد بها عليك، ألا تظن أن هذا الاستطراد أقحم إقحاماً في بحثك؟!.

قلت: هذا الذي سميته أنت استطراداً لم يقحم إقحاماً في بحثي، وكنت قد كتبته قبل حوالي سبعة عشر عاماً، ثم أَطْلَعتُ عليه غير واحد من أهل العلم والفضل واستفدت من ملحوظاتهم، وعندما جاء دور نشره رأيت أن ذلك غير ممكن إلا إذا كان المؤلف اسماً وهمياً، ومثل هذه الموضوعات المهمة لن تُعطي حقها من العناية والاهتمام إلا إذا ذُيلت بأسماء معروفة في أوساط الدعاة، ولا بد أن يكون الكاتب مستعداً لكل ما يترتب على ما يكتبه من تبعات وأعباء، ولما كان ذلك غير متيسر حينئذٍ، فقد وضعت هذا البحث في خزانة المحفوظات بمكتبتي، التي أحافظ عليها كما أحافظ على سلامة ابن من أبنائي، ولا أهتم بغيرها من أثاث المنزل عندما ننتقل من بيت إلى بيت آخر أو من بلد إلى بلد آخر.

وبينما كنت مستغرقاً - كما قال السائل - بنقد منهج حزب الغلاة رأيت أن علماء السلف قد أشبعوا موضوع الخروج على أئمة الجور بحثاً في حين يتهيب معظم الفضلاء من علماء عصرنا من بيان الحكم الشرعي في الحكام المبدلين لشريعة الله، أما غير الفضلاء من المنسوبين إلى العلم وأهله فلم يعد نفاقهم وتزلفهم للطواغيت يحتمل، وهنا فقد رأيت أن الواجب الشرعي يحتم عليَّ أن أساهم في سد هذه الثغرة، ولهذا فقد أخرجت هذا البحث من خزانة المحفوظات، ثم نفضت الغبار عنه،

وقرأته غير مرة، ثم قمت باختصاره لأنني كنت أرى من قبل إخراجه في كتاب مستقل، ومع الاختصار كان لابد من تهذيب عباراته لأن للسّن دوراً في اختيار الكلمات الهادفة المفيدة، واستبعاد كل ما لا فائدة أكيدة فيه، وجملة القول: لم يكن هذا البحث وليد الارتجال، وقد جاء والحمد لله في موضعه المناسب.

أما قول القائل: إنك قدمت أدلة سوف يكون الغلاة أول من يستفيد منها...الخ، فمعاذ الله أن أحجب ما أعتقد أنه حق فيما أكتب كي لا تستفيد منه الجهة التي أخالفها، ولا أقبل إن شاء الله أن يكون هدفي مما أكتب إفحام الخصم والإجهاز عليه بشتى الوسائل والطرق المشروعة منها وغير المشروعة.

وإن الحق الذي أدين الله به أن انحراف كثير من أدعياء العلم وتقديمهم الفتاوى الباطلة للظالمين مقابل حصولهم على عرض من أعراض الدنيا الفانية هو سبب من أسباب انحراف دعاة الغلو، وعندما يجد هؤلاء المرجعية الصادقة المستقلة من العلماء الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر فلسوف يتراجعون [أو يتراجع معظمهم] عن تنطعهم وغلوهم، وهذا ما نرجوه ونأمله ونعمل من أجله.

أعود بعد ذلك إلى الفقرة التي سبقت هذا الاستطراد فأقول:

"إن رايات الكفر البواح في عالمنا الإسلامي الكبير ترفرف خفاقة عالية فوق مباني البنوك الربوية التي يكاد لا يخلو منها حي أو قرية، وفوق مباني المؤسسات التشريعية والقضائية التي لا يسمح فيها لمن يشاء من القضاة أن يساوي بين شريعة الله والشريعة التي سنّها زعيم الدولة فضلاً عن تفضيله لشريعة الله، وترفرف رايات الكفر البواح أيضاً فوق مباني التلفاز ودور السينما وأوكار الرذيلة، وفوق مصانع ومحلات بيع الخمور، وليست المشكلة هنا فيمن يشرب الخمر أو يرتاد دور السينما ويشاهد مناظر العرايا من النساء والرجال، ولكن المشكلة فيمن سنّ

القوانين التي تبيح هذه المنكرات، وأعيد للأذهان قـول رشـيد رضـا الـذي استشهدت به قبل قليل وخلاصته:

من المسـائل المجمـع عليهـا قـولاً واعتقـاداً: إن إباحـة المجمـع علـى تحريمه: كالزنا والسكر، واستباحة إبطال الحدود وشرع مـا لـم يـأذن بـه الله كفر وردة"[1] .

لا نستطيع أن نقف صماً بكمـاً أمـام هـذه المسـألة الخطيـرة لأن اللـه سبحانه وتعالى قد أوجب علينا إيضاح الأحكـام عنـد الحاجـة إليهـا، وحـرّم علينا السكوت، فقال جل من قائل: [illegible].

[illegible] ! [illegible]:

١ - [illegible].

٢ - [illegible].

٣ - [illegible]: [illegible].

٤ - [illegible].

٥ - [illegible]: [illegible].[2]

[illegible]:

---

[1] - سبق لي تقرير هذه الفقرة فيما سبق من هذا البحث، وجدير بالذكر أن كثيراً مـن العلماء قالوا بمثل ما قاله رشيد رضا.

[2] - اكتفيت بذكر أهم هذه الشروط.

- [illegible]
- [illegible]
- [illegible]

[illegible]

[1] - مآثر الإنافة في معالم الخلافة، للقلقشندي، والأحكام السلطانية للماوردي، والأحكام السلطانية لأبي يعلى محمد بن الحسين الفراء، والقرطبي في تفسيره لقوله تعالى: إني جاعلك في الأرض خليفة ....

[illegible].

خلاصة القول: إن الأنظمة المعاصرة في ديـار المسـلمين علمانيـة في دساتيرها وقوانينها ومراسيمها الإداريـة وسـائر شـؤون الحكـم فيهـا، وسـدنتها لا ينكـرون ذلـك فـي تصريحاتــهم ومـواقفهم الـتي لا تنقطـع: كقولهم: لا سياسة في الدين ولا دين في السياسة، ومنعهم منـح ترخيـص للأحزاب على أساس ديني وغير ذلك.

فـإذا قيـل: هـذه المسـاجد المزدحمـة بالمصـلين تشـهد علـى بطلان قولكم.

قلنا: بل قولكم هذا فيه جهل عظيم لأن العلمانية تعنـي أن لا ديـن فـي السياسة ولا سياسة في الدين، والشطر الثاني من هذه المقولة يعني أنه لا يحق لأهل السياسة أن يتدخلوا بشؤون المؤسسات الدينية، وللقــائمين على هذه المؤسسات حق اختيار الخطباء والوعاظ فيهـا، ووضـع البرامـج التعليمية، وإنشاء دور جديدة للعبادة عند الحاجة إليهـا، وجمـع التبرعـات، ورعاية الأوقاف التي تحقق لهذه المؤسسات كل تقدم وازدهار.

لو التزم الحكام في بلادنا بالنظام العلماني التزاماً صحيحاً لسلمت لنـا أوقافنا التي تعد مفخرة من مفـاخر تاريخنـا الإسـلامي... ومـن ريـع هـذه الأوقـاف كـانت: تبنـى الـبيوت للفقـراء الـذين لا يجـدون مـا يشـترون أو يستأجرون بيتاً، وتحفر الآبار، وتبنى المدارس والمستشفيات والمكتبـات، وتنسخ الكتب، وغير ذلك من الأعمال الخيرية التي يستفيد الناس منها.

هذه الأوقاف التي لا تكاد تخلو منها مدينـة ولا حـي أو قريـة، اغتصـبها - ظلمـاً وعـدواناً - الحكـام العلمـانيون فـي بلادنـا خلال العقـود الخمسـة الماضية، وحرموا المستفيدين منها، ثـم زعمـوا أنــهم فعلـوا هـذا وغيـره إنصافاً للفقـراء والمحتـاجين، ولا أدري كيـف ينصـفون هـذا الفقيـر وهـم

الذين يمنعون عنه الطعام الذي كان يقدم لـه، والمـأوى الـذي كـان يـأوي إليه، والمدرسة التي كان يتعلم فيها؟!.

ولو الـتزم الحكـام فـي بلادنـا بالنظـام العلمـاني التزامـاً صـحيحاً لكنـا أحراراً في مساجدنا ندعو فيها إلى اللـه علـى بصـيرة، ولا نسـمح لظـالم جاهل أن يفرض علينا برامج ما أنزل اللـه بــها مـن سـلطان، وخطبـاء لا يتقنون إلا فنون النفاق والمداهنة والتجسس.

لكن الحكام في بلادنا طبقوا العلمانية تطبيقاً مشوهاً ومخالفاً لمـا هـو عليه الحال في الـدول الأوربيـة وبشـكل خـاص فـي الشـطر الثـاني مـن المقولة الآنفة الذكر: "لا سياسة في الـدين" فـأدخلوا سياسـتهم الخبيثـة إلى مسـاجدنا ومعاهـدنا الشـرعية، واسـتأثروا بكـل شـيء، ومنعونـا مـن ممارسة أبسط الحقوق التي يتمتـع بــها المـواطن فـي الـدول الملتزمـة بالنظام العلماني.

وإذا قيل: أنتم تبـدأون بمثـل هـذه المقـدمات لتنتهـوا إلـى القول بتكفير الحكام.

قلنا: المسألة ذات شقين: الشق الأول: ما هو الموقف مـن هذه الأنظمة: كدساتير، وقوانين، وأحكام، هل هي إسلامية أو علمانية؟!. والشق الثاني: ما هو الموقـف مـن الحكـام الـذين يضعون هذه الدساتير والقوانين؟!.

والقفز على الشق الأول من هذه المسألة ظلم وهروب من أصل النـزاع، كمـا أن الـذين يتسـرعون ويـدخلون فـي نقـاش حــول إســقاط حكــم الــردة علــى الحكــام لا ينتبهــون إلــى الاستدراج الذي أوقعهم المخالفون فيه!!.

ليس للدعاة الذين يطرحون هذه المسألة موقف شخصي من الحكـام، وليست المسألة صراعاً سياسياً حول كرسي الحكـم والاسـتئثار بـه كمـا يصورها أصحاب الأهواء، أو كما يدعيه الحكام وأجهزة إعلامهم وأمنهم.

وإذا أراد المخالفون امتحان الدعاة فليطلبوا من سادتهم الحكام التوبة إلى الله، والعودة بالناس إلى تحكيم شريعة الله الواحد القهار، ونبذ الشرائع الجاهلية التي ابتدعوها، ولو استجاب الحكام إلى هذا الطلب لوجدوا الدعاة إلى الله خير بطانة لهم، وأشجع من يدافع عنهم ويفديهم بأرواحهم.

إذن المسألة التي يجب أن يدور حولها النقاش: ما هو الموقف من هذه الأنظمة: كدساتير، وقوانين، وأحكام، هل هي إسلامية أو علمانية؟!.

وليأذن لنا المخالفون في طرح الأسئلة التالية عليهم:

- **يقول الحق جل وعلا:** [illegible] !.

[illegible]: "[illegible]"، [illegible] – [illegible] – [illegible] !.

- [illegible] [1] [illegible]. [illegible] !.

[illegible]: [illegible]... [illegible] !.

[illegible].

1 - سبق تخريج وشرح حديث عبادة بن الصامت والحديث الذي قبله.

[illegible]

[illegible]

[illegible]

كلمة حق

رأيت أن أختم هـذا الكتـاب بمقـال كـان قـد كتبـه الشـيخ محمـود عبـد الوهاب فايد رحمه الله، وذلك للأسباب التالية:

الأول: كاتب المقال مدرس بكلية الدعوة وأصول الدين، وعضو لجنـة السنة بمجمع البحوث، والوكيل العام للجمعية الشرعية.

فهو أولاً عالم من كبار علماء الأزهر وهو ثانياً أحد أهم المسؤولين عـن جمعية حائزة على ترخيص مـن قبـل جميـع الحكومـات المصـرية: ملكيـة كانت أم جمهورية، وهذا يعني أنـها ليسـت [-الجمعيـة الشـرعية-] متهمـة بالإرهـاب وغيـره مـن الصـفات الظالمـة الـتي اعتـاد المرجفـون علـى إلصاقهابالجماعات والهيئات الإسلامية.

الثاني: يتحدث الشيخ في هذا المقـال ع ن قضـايا ومشـكلات النـاس جميعاً في مصـر، ويخـاطب زملاءه العلمـاء مـذكراً إيـاهم بوجـوب إنكـار المنكرات الكثيرة والمتنوعة، وطالباً منهـم التعـاون علـى ذلـك كمـا كـان يفعل شيوخ الأزهر من قبل.

غير أن علاقته الوثيقة بشيخ الأزهر ومجموعة العلماء المخاطبين بـــهذا المقال ومحبته العميقة لهم لا تمنعه من نقدهم وبيان مـا وقعـوا فيـه مـن تقصير وتساهل على حساب الأمانة الشرعية التي أنيطت بـهم. وقصارى القول فإن للمقال صلة قوية بموضوع هذا الكتاب، وليس لكـاتبه مشـكلة مع النظام.

الثالث: الشيخ محمود عبد الوهاب فايد من العلماء الذين لا يســكتون عن إنكار المنكر مهما غلت التضحيات، وفي جميع العهود السـابقة أمثلـة على ذلك، ومن شاء الاطلاع على هـذه المواقـف فليراجـع كتـابه "صـيحة الحق"، ولهذا فقد تعرض رحمه الله للسـجن، والنقـل لأمـاكن نائيـة، فمـا

زاده ذلك إلا ثباتاً وإصراراً على الحق -نقول ذلك ولا نزكي على اللـه أحـد -.. هذا وقد حرصت على نشر مقـاله[1] الـذي يصـف مـن خلالـه داء الأمـة، ودور العلماء في وصف الدواء الشافي دون التعليق عليه، وعـدم التعليـق لا يعني موافقتي له في كل ما ورد في المقال، فجـزاه اللـه عـن الإسـلام والمسلمين كل خير، ونسأل الله له الرحمة والأجر والثواب.

[1] - حذفت منه أخبار الصحف التي استدل بـها، واكتفيت بالإشارة إلى موضوعها.

كلمة من القلب أرجو أن يفسح العلماء لها صدورهم

"الأمن هو النعمة الكبرى... في ظله يعيش الناس في سـلام، ويحيـون في هناءة وسعادة، وعليه تقـوم مصـالحهم، وتقضـي حـوائجهم، ولا يقبـل الإخلال به إلا من ساء خلقه، وفسدت فطرته، وليس لـديه وازع مـن ديـن أو ضمير، وهو مسؤولية الشعب والحكومة... ومن اللازم أن يتعاونـا معـاً في تحقيق الأمن والاستقرار وعلى جميع أجهزة الدولة أن تحمـي الأرواح والممتلكات، وتتجنب كل ما يثير النفوس ويقلق الخواطر.

والعجيب أن بعض الصحف تنشر أخبـاراً كاذبـة مـثيرة، ويسـارع بعـض أهل العلم والدين إلى تصديقها والتعليـق عليهـا دون تثبـت... مـع أن اللـه سبحانه وتعالى يقول في كتابه: [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

"[illegible]" [illegible] [illegible] [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[1] - مجلة الاعتصام، العدد 10، يناير 1989م، وكتاب صيحة الحق، للمؤلف، ص: 411.

فهرس الكتاب

الموضوع	الصفحة
المقدمة	5
عندما يكون الحكم لغير شريعة الله	4
مواقف العلماء	12
الشبهة الأولى	15
أبو حنيفة النعمان	19
مالك بن أنس	19
سفيان الثوري	20
أحمد بن حنبل	21
البخاري	22
النووي	23
العز بن عبد السلام	25
شيخ الإسلام ابن تيمية	28

الموضوع	الصفحة
موقفه من قازان	28
جهاده	30
أمره بالمعروف ونـهيه عن المنكر	33
الشبهة الثانية	41
قيمة ما يصدر عنهم من فتاوى في المسائل المتعلقة بالسلطان ونظامه	47
ليس لأحد منهم عذر	54
تذكير بمنهج الاستدلال عند أهل السنة	65
لكنهم لا يتعظون	74
أحمد حسن الباقوري	74

- محمد متولي شعراوي 78
- د. عبد العزيز كامل 79
- نصيحة 81
- سؤال وجوابه 85

الموضوع الصفحة

- خلاصة القول 93
- كلمة حق 97
- كلمة من القلب أرجو أن يفسح العلماء لها صدورهم ... 99
- الفهرس 111